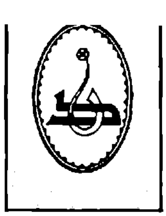


البيان في مقارنة الأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم/ ٣٠].

«صدق الله العظيم»

البيان في مقارنة الأديان

تأليف
الدكتور أسعد السحمراني

دار النفائس

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص . ب ١٤-٥١٥٢
رمز بريدي : ١١٠٥-٢٠٢٠
فاكس : ٨٦١٣٦٧ - ١ ٠٠٩٦١
هاتف : ٨٠٣١٥٢ - ٨١٠١٩٤
بيروت - لبنان

DAR AN-NAFAÉS
Printing-Publishing-Distribution
Verdun St. Saffi Aldeen Bldg.
P.O. Box 14-5152
Zip Code 1105-2020
Fax: 00961 1 861367
Tel: 00961 1 803152 - 810194
Beirut - Lebanon

Email:books@alnafaes.com
Web Site :www.alnafaes.com

الإهـــــداء

إلى المؤمنين

حرّاس المبادئ والقيم

والمجاهدين من أجل تحرير المقدسات

أهدي عملي هذا

أســـعد

المقـدمـة

فتحت وسائل الاتصال والمواصلات الباب واسعاً أمام الإنسان كي يتفاعل مع غيره من أبناء أمته أو أبناء الأمم الأخرى، وقد تشابكت المصالح بين الدول والشعوب في الميادين كافة، وقد دفع هذا اليسر في التواصل بعض الناس إلى القول: «إن العالم بات قرية صغيرة». إننا نقبل هذه المقولة إذا كان المقصود بها أن التقدم في عالم المعلوماتية ونقل المعارف قد اختصر المسافات، أما إذا كان المقصود بذلك وحدة الثقافة وهيمنة حالة معينة، فإن القول يصبح مرفوضاً وغير واقعي.

هذا الكتاب ليس جديداً في موضوع بحثه، ولكن حاولتُ، من خلاله، أن أجمع الضروري للمهتم وللدارس، واعتمدتُ منهج التحليل مع العرض للمعلومات من مصادرها الأصلية قدر الممكن دون تدخل كبير، لأن الموضوعية تقتضي أن تُعرض عقائد الناس وأفكارهم ومفاهيمهم كما يرغبون أن تُعرض، وكذلك من حق القارىء أن يقف على الواقع قدر المستطاع.

عالج الكتاب اليهودية مبيناً مضامينها ونصوصها التي قادت إلى الصهيونية، وعالج المسيحية مع إشارة إلى الحوار والتواصل بين المسيحيين والمسلمين.

وفي القسم الثاني بحث في واقع سبع ديانات حيَّة يحتاج الإنسان إلى الاطلاع عليها ليتعامل مع أتباعها، أو ليعرف ما الذي يحكم فكرهم وسلوكهم، وإن أراد أن يدعوهم إلى دين الله عندها يكون قد وقف على ما هم عليه، مما يساعده في تشخيص حالهم لوصف العلاج فيما بعد.

والكتاب ليس تكراراً لأعمال المؤلف السابقة، وإن كان قد استفاد من موادها، إلا أنه عملٌ تمَّ تنسيقه كي يلبي حاجة كليات الدراسات الإسلامية والشريعة في دراسة مادة تاريخ الأديان المقارن.

وإن الكتاب مدين لجهود كثيرة وبشكل خاص للقائمين على كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، وفي مقدمهم الحاج توفيق حوري والزملاء الأساتذة، حيث أقوم بتدريس المادة منذ سنوات عديدة، وقد أتاحت الظروف لي خوض مناقشات وسماع مقترحات وأفكار أغنت تجربتي واطلاعي.

والكتاب أتى بعد أن استجاب الأستاذ أحمد راتب عرموش، صاحب دار النفائس، لحماستي في إصدار موسوعة، وكان أن صدرت منذ أسابيع: موسوعة الأديان الميسرة، وقبلها سلسلة من ثلاثة كتب لي تحت عنوان: من قاموس الأديان، وبذلك يأتي هذا العمل ليسد حاجة قرَّاء العربية.

والفضل الثالث هو للأخ كمال شاتيلا ولإخواني في المؤتمر الشعبي اللبناني الذين أمنوا لي فرصة الاشتراك في مؤتمرات

عديدة محلية ودولية أغنت ثقافتي ومكتبتي في الموضوع، ولا أنسى طلابي المباشرين وغير المباشرين من أبناء أمتنا، الذين قدموا لي ما بحوزتهم من أسئلة واستفسارات حفزتني على البحث انطلاقاً من القاعدة القائلة: «حسن السؤال نصف العلم».

وأخيراً لا بدَّ من أن أذكر أسرتي وعائلتي: الوالدين والزوجة والأولاد والإخوة وعائلاتهم الذين يتسامحون معي في تقصيري حيالهم، ويؤمنون لي الأجواء المساعدة على البحث والمتابعة، والكتابة والتأليف.

مرضاة الله مبتغاي، ورضى قرائي الذين أرجو أن يجدوا في عملي هذا بعض ما يسعون إليه.

والحمد لله رب العالمين.

عكار في ٢٤/ ٤/ ٢٠٠١

أسعد السحمراني

تمهيد

الإنسان والدين

الإنسان، في هذه الدنيا، محتاج للانخراط في اجتماع بشري يمارس فيه تبادل الخدمات مع سواه من أجل توفير احتياجاته، وهو في الوقت نفسه ينظر في الكون من حوله، فيقف بعقله وإدراكه على ما فيه من سنن وآيات باهرات، فيدفعه ذلك إلى البحث عن خالق الكون ومنظمه، أو يصيبه العجز، ويشعر بالنقص حيال مواقف أو ظواهر كثيرة فيحفِّزه ذلك إلى البحث للتعرف على الكامل الذي يسمو الجميع باتجاهه، ويتعرض المرء لنكبات وأنواع من البلاء تشعره أن المعين له في هذه المواقف ليس مخلوقاً ولا مصدراً مادياً، فتنقشع المؤثرات السلبية عن نفسه لتتجلى صورة الفطرة الأصلية فيه فيقول عندها ربِّي الله تعالى.

الإنسان، في حياته هذه، قد تأتيه النعم والخيرات، وتصيبه الهناءة، وفي مثل هذه الحال بعضهم لا يتذكر مصدر النعمة، بل تشغله المكاسب عن ذلك، وتخمد فيه الفطرة التي كوّنه الله تعالى عليها، وإذا تحوّلت الظروف، وأحاطت به المخاطر، في

هذه الحال تنجلي الغبار المادية والميول الدنيوية لتبرز الفطرة على حقيقتها.

لقد جاء النص القرآني في سورة «يونس» مبلغاً عن هذا المشهد الإنساني، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [يونس/ ٢٢].

أما الفطرة، وهي التسليم بوجود خالق، أو ما يسميه علماء العقائد: إسلام الربوبية، فهي ما كان عليه مبدأ تكوين النفس البشرية فكراً ووجداناً بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم/ ٣٠]. وعند القرطبي في تفسيره: «وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخِلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه؛ فكأنه قال: كل مولود يولد على خِلقة يعرف به ربَّه إذا بلغ مبلغ المعرفة؛ يريد خِلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته». وفي الحديث النبوي: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة)**.

هذه الفطرة التي في أصلها يكمن التسليم والإيمان بخالق له سلطانه على كل شيء، هو الله تعالى حيث الربوبية: تعني الخلق

والملك والسلطان، وهي غير الألوهية التي هي العبادة، فكل إنسان عاقل عنده إسلام الربوبية، ولكن قد تفسد فطرة فيعبد إلهاً (معبوداً) غير الحق سبحانه. وقد أوجز علماء العقائد هذه المسألة في عبارة قالوا فيها: «الله تعالى رب العالمين وإله، أي معبود، المؤمنين»، وذلك لأن غير المؤمنين إما أن يشركوا مع الله، في العبادة، إلهاً أو آلهة مزعومة، أو أن يعبدوا مظهراً، أو معبوداً، اصطنعوه؛ هذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية/ ٢٣].

فطرة التدين هذه في أصل خلق النفس البشرية منذ أن خلق الله تعالى آدم أبا البشر من الطين وأودع فيه قانون التوالد، أو كما يقول علماء التوحيد في عالم الذَّر، وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

إن البشر، مهما طغوا وأفسدوا، لا يستطيعون تبديل هذا الميثاق، لقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم/ ٣٠]، لذلك نجد في تاريخ الأمم والحضارات أنه لم يخلُ مجتمع من دين وشريعة حتى لو كان ذلك فلسفة أو رأياً لحاكم، أو عقيدة فاسدة، لأن الإنسان بطبيعته مولود على الطاعة والخضوع وعلى من يدين.

الدين، حسب الراغب الأصفهاني، هو كالملة «لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة». وعند ابن منظور: «الدين

الطاعة، وقد دنته، أو دنت له، أي أطعته. والدَّيان من أسماء الله عزَّ وجلَّ، ومعناه الحَكَم القاضي».

والحكم، من أجل الجزاء ثواباً أو عقاباً، لا يكون بدون شريعة تحوي المبادىء والأحكام والمعايير القيمية التي يتم الحكم على أساسها. هذا يقودنا إلى القول: إن الله تعالى لم يخلِّ الناس وشأنهم كي يستقيموا انطلاقاً من امتلاكهم العقل، كما زعم المعتزلة، وأمثالهم حيث صرحوا بأن الإنسان بعقله يهتدي لمعرفة الله، وبعقله يميِّز الحسن والقبيح والخير والشر. هذا ما لا يمكن اعتماده، بل الناس محتاجون إلى الرسل يبعثهم الحق سبحانه بالهدى ودين الحق وبالشريعة القويمة الإلهية المصدر، كي يحتكموا إليها، وتكون الفيصل بينهم، والضابط لعلاقتهم مع الله تعالى وفيما بينهم، ومع الشريعة وبهديها يكون دور العقل. هذا ما أبلغنا به البيان الإلهي في سورة الإسراء: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء/ ١٥].

وقد أجمل هذه المفاهيم مناع خليل القطان عندما قال: «لقد فطر الله الناس على توحيده وطاعته، وأودع في النفس البشرية استعدادها للخير واستعدادها للشر، ومنح الإنسان القوى المدركة المميِّزة، وما كان لهذه القوى أن تدرك الصواب والحق دائماً فضلاً عن عالم الغيب، فامتنَّ الله على عباده ببعثه رسله، بياناً للحق وموازينه وإعذاراً لهم وإسقاطاً لحجتهم».

الإنسان يحتاج للرسل لتكون الشريعة التي جاؤوه بها إلهية

المصدر لا يأتيها الباطل ولا يعتريها النقصان، أما لو دان بشريعة من صنعة بشرية فإن للبشر أهواءهم ومصالحهم ومفاهيمهم، وبذلك لا يمكنه أن يكون على الطريق القويم، والدارس للديانات والمقارن بينها يلمس كم من المشكلات نتجت وتنتج من ديانات بشرية الصيغة، لأن البشر نزاعهم طويل وخبطهم كثير، كالفلاسفة وفق ما قال أبو حامد الغزالي في مقدمة كتابه الشهير: «تهافت الفلاسفة».

والإنسان بفطره وطبعه، ومن أجل صلاح أمره، فرداً ومجتمعاً، يحتاج إلى الدين القويم ليزكي به نفسه، وإلا كان من الخائبين لانحيازه إلى الفساد وأهله، يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس/ ٧ ـ ١٠].

والإنسان يحتاج للإيمان تتألق به قواه الروحانية وتشبع به دوافعه المعنوية ويطمئن به قلبه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد/ ٢٨]، كما أن الدين فيه صيانة للبدن ورعاية له وتلبية لاحتياجاته بالحلال الطيب، ففي الحديث الشريف: **(إن لبدنك عليك حقاً)**.

والإنسان كائن عاقل، والدين يكرم العقل ويكرم بني آدم بسببه، والعقل ضابط ومكتسب للمعارف، ومن خلاله مدارك الوعي التي تسمو بالإنسان من خلال الثقافة، عقيدة وعلوماً ومعارف، باتجاه التأسيس لحضارة تحقق العمران والأمان والاستقرار.

هذا المسار يوصلنا إلى أن الإنسان الاجتماعي بطبعه يحتاج للدين ليحدد العلاقة بين الفرد والمجتمع، وذلك إنقاذاً لهما معاً من الاستبداد. فالدين يمنع طغيان واستبداد الفرد على المجتمع، وفي الوقت عينه لا يفرط بالفرد وخصوصياته أو يلغيه من أجل المجتمع، أضف إلى ذلك أن أحكام الدين وقيمه تشكل الأسس للتشريع والقوانين التي تحفظ حقوق الإنسان الفرد وحقوق المجتمع، وتوازن بين مصالحهما.

إن العلاقات بين أفراد المجتمع، بدءاً من الأسرة، الخلية الأولى والرئيسة في المجتمع، مروراً بكل التشكيلات المجتمعية وعلى اختلاف أنواعها، لا بدَّ لهذه العلاقات من ضوابط ومحددات واضحة وإلا يختل نظام المجتمع.

إن أوروبا وأمريكا وسواهما، ممن حصل عندهم طغيان لمفاهيم مادية لا دينية تحت شعار التحرر، وحرية الإنسان فيما يتعلق ببدنه، يعانون اليوم من أنواع من الأمراض الجسدية والاجتماعية التي تنتشر في مجتمعهم، ومن ذلك تفكك الأسرة وفقدان الترابط والمودة بين أفرادها.

إن الدين عندما تشكل مبادئُه وأحكامُه القواعدَ الناظمة للحضارة وللقوانين وللمؤسسات يكون من خلاله الحصن الذي يحفظ كرامة الإنسان المستخلَف في الأرض.

الدين يطرد اليأس، ويحارب المفاسد والرذائل وينشر الفضائل، ويحفِّز على العطاء والعلم والعمل، ويمنع من هدر الثروات

وتبديد القدرات والإمكانات الفردية والجماعية.

وإذا كانت أوروبا قد عاشت، في القرون الوسطى، محاكم التفتيش الكنسية التي قيدت الفكر والإبداع لالتزامها ما جاء من حضارة الإغريق، فإن هذه حالة عارضة، والدين هو المفجِّر للطاقات الفكرية، والسؤال: أليست رسالات السماء خطاباً للفكر والمشاعر تسمو باتجاه علوي، وفيها التنظيم والقيم للعلاقة بين العبد وربه، وبين العبد والبشر، وبين العبد والطبيعة والماديات؟

إن الدين يمد العلم والعلماء بالمناهج والمعارف، ويشحذ الهمم، لأن الإنسان كلما ترقّى معرفياً وتقدمت أبحاثه العلمية وسميت مداركه، كلما ازداد إيماناً وخشية من الله تعالى، وفي الآية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر/٢٨].

الدين يسمو بالإنسان ويرقى به، أما اللادين والتفريط بالقيم وطغيان الدوافع المادية فإنه ينحط به باتجاه بهيمي، لذلك تكون حاجة الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى وإلى الدين الحق ليحصنه ويحقق له كرامته واستقراره الشخصي والاجتماعي.

الفصل الأول

اليهوديـة

النشأة والتسمية

اليهودية دعوة إلهية المصدر في أصلها، وقد أُرسل بها موسى عليه السلام داعياً إلى التوحيد وهجر عبادة الأوثان، وقد تعرَّضت في مسيرتها، منذ النشأة حوالي العام (١٥٠٠ ق.م) إلى يومنا هذا، لكثير من الأخذ والرد، وقد شكَّل من يزعمون الانتساب إليها حالة خاصة بين الأمم والشعوب حيث حرَّفوا كلام الله وما جاء به موسى عليه السلام، وكان الأخطر في فكرهم تلك العنصرية المتولِّدة من زعمهم أنَّهم الشعب المختار.

وقد حاول يهود [ستكون كلمة يهود بلا «أل» التعريف تنكيراً لهذا الشعب لما يصدر منه وبسبب مفاهيمه الخطرة]، ومن باب ذر الرماد في العيون، أن يعتمدوا أكثر من اسم لتبرير ما يطرحون، إن لجهة الارتباط بأصل الحنيفية السمحاء مع إبراهيم عليه السلام ومن بعده، أو بموضوع المكان وقداسته.

لقد قالوا إنهم **عبرانيون**، وحالياً يستخدمون لدولتهم المغتصبة

لأرض فلسطين والعرب اسم الدولة العبرية، علماً أن العبرانية، أو العبرية، تسمية سابقة على موسى عليه السلام ودعوته اليهودية بقرون عديدة.

فالاسم «عبيرو»، أو «هبيرو»، كان يطلق على كل من يعتمد الترحال في حياته، أي من يحيا حياة بداوة، إذن العبرانية هي نمط اجتماعي ولا ارتباط لها بعقيدة أو دعوة دينية، وقد سُمِّي أحد أجداد إبراهيم الخليل «عابر» بسبب ما تمت الإشارة إليه سابقاً، وكذلك سُمِّي إبراهيم: أبرام العبراني، كما ورد في نصوص من العهد القديم. من هذه النصوص في سفر الخروج: «قالا: إله العبرانيين وافانا، فدعنا نذهب مسيرة ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا». وفي سفر التكوين: «لأن المصريين لا يجوز لهم أن يأكلوا مع العبرانيين».

وقالوا: إنهم إسرائيليون، والإسرائيلية ليست انتماءً دينياً عقدياً، وإنما هي انتماء لنسب من جهة يعقوب عليه السلام. وإسرائيل هو الاسم الثاني ليعقوب الذي أُعطي له على شكل مباركة من الرب، كما ورد في سفر التكوين من العهد القديم: «وتراءى الله ليعقوب أيضاً، بعدما رجع من فدّان أرام، فباركه. وقال له الله: اسمك يعقوب، لن تسمّى بعد اليوم يعقوب، بل إسرائيل ليكون اسمك، فسمّاه إسرائيل». والاسم من مقطعين: إسرا: عبد، وإيل: الإله، ومعناه، إذن، عبد الإله. لكن هذا الانتساب ليعقوب (إسرائيل) عليه السلام غير سليم من قبل يهود

اليوم، لأن يهود العالم ليسوا كلهم من نسل يعقوب، ولا حتى النزر القليل منهم.

وقالوا إنهم **صهاينة**، وفي هذا محاولة لتبرير حق مزعوم بالقدس. وصهيون كلمة معناها: حصن، وصهيون: رابية في القدس. واليبوسيون، سكان القدس من الأصل الكنعاني ومنذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، أقاموا مملكتهم في القدس «أورشليم» ومحيطها، وبرز منهم حوالي العام ٢٥٠٠ ق.م الشيخ سالم اليبوسي الذي أقام قصره على ربوة صهيون. وداود عليه السلام، عند دخول القدس، دخل إلى هذا الحصن وأقام فيه، وبعده سليمان عليه السلام وقد دام ذلك حوالي ٧٠ سنة فقط. ومن تبرير الحقوق المزعومة استخدموا هذه التسمية.

والاسم الأكثر انتشاراً وقبولاً أنهم **يهود**؛ والاسم لغة من الهَوْد: التوبة، وهاد أو تهوَّد: تاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لما جاء في النص القرآني بلسان موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف/١٥٦]. ومنهم من ذهب إلى القول بأن اليهودية نسبة إلى يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل الاثني عشر. والأسباط هم: أشير - أفرايم - بنيامين - جاد - دان - رأوبين - زبولون - شمعون - لاوي - نفتالي - يساكر - يهوذا.

وهذا الاحتمال، احتمال اشتقاق التسمية من «يهوذا»، احتمال لا مبرِّر له، لأن الأسباط كانوا بعد موسى عليه السلام بما يزيد عن ثمانية قرون، واليهودية هي الموسوية نفسها،

وبذلك يكون الاسم في الغالب مستخدماً من قبل عهد يهوذا السبط. واليهودية لها عقيدة وشريعة، وهي أكثر من نسب أو ارتباط بمكان جغرافي أو بنمط اجتماعي معيشي. إن يهود من جنسيات عديدة وقوميات، ولهم انتماءات وأنماط معيشية حسب الموقع الذي يكون فيه انتساب لليهودية.

العقيدة اليهودية في الخالق تعالى

إن موسى عليه السلام جاء بالتوراة يبشر ويدعو إلى عقيدة التوحيد، كإخوانه الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، ولكن يهود حرَّفوا، وزوَّروا، وانحرفوا، وحادوا عن جادة الصواب، حيث بات ما يعتقدونه غريباً ومستغرباً، وقد قالوا في الخالق سبحانه ما أخرجهم من ملة الموحدين، وجعلهم في زمرة الوثنيين.

وقد استخدم يهود أربع تسميات للرب تعالى في العهد القديم وفيما يتداولونه هي: إيل - إيلوهيم - آدوناي - يهوه.

إيل: استخدمها يهود، وشعوب أخرى أو أتباع معتقدات في المنطقة العربية وتعني: الإله. وقد ورد في معجم اللاهوت الكتابي حول هذا المصطلح إيل: «اسم جنس يدل على الألوهية بصفة عامة، واسم علم يدل على الشخص الوحيد والمحدد الذي هو الله... كان إيل معروفاً ومعبوداً، خارج إسرائيل، كاسم جنس، يدلُّ على الألوهية، تقريباً في كل العالم الساميِّ، وكاسم علم، هو اسم إله عظيم، يظهر أنَّه كان الإله الأعلى، في

القسم الغربي من هذه المنطقة، خاصَّة في فينيقيا وكنعان.

إيلوهيم: يدل على صفة الله الخالق العظيم وأنه ـ حسب معتقدهم ـ على علاقة مع جميع الشعوب من يهود وغير يهود.

آدوناي: اسم يُخاطب به الخالق بوقار وخشوع وهيبة، هذا الاسم يعني الرب، ولكثرة استخدامه عندهم أصبح اسم علم، وهذا الاسم كانوا يستخدمونه عندما أعرضوا عن استخدام اسم «يهوه» الذي كانوا يقللون من تداوله.

يهوه: يعده يهود خاصاً بهم، وهو عندهم إله تابوت العهد، وأن الخالق أطلق على ذاته اسم يهوه وقت أعطى عهده لموسى على طور سيناء. وحسب قاموس الكتاب المقدس: «إن اسم يهوه يثبت، بجلاء وجلال، وجود الله... ولكن ليس بمعنى أنه ساكن، أو مستقر في ذاته، بل بمعنى أنه يعمل ويؤثر، فالله موجود ليعمل ويؤثر، ليعلن ذاته، وينفذ إرادته، ويرشد شعبه».

إن تعدد الأسماء للخالق تعالى وجه للموضوع في عقيدتهم، أما الوجه الآخر فهو تلك الإعلانات التي وردت في نصوصهم، وفيها تقليل من شأن الله تعالى، وإعطاء أوصاف له تعالى تنطبق على ما هو بشري، من ذلك التعب والاستراحة. ففي سفر التكوين: «فأكملت السموات والأرض وجميع جيشها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع

وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله بنفسه».

ومن النصوص التي تفسد عقيدة التوحيد عند يهود قولهم إن الله تعالى يتجسد ويسير في الجنة ويختبىء آدم وحواء من وجهه. ففي سفر التكوين «فسمعا صوت الرب الإله وهو متمشٍ في الجنة عند نسيم النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت، قال: إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنِّي عريان فاختبأت».

ويضيفون إلى مفاهيمهم الفاسدة عقدياً، في سفر الخروج، نصوصاً تعلن أن الرب يسير مع يهود، أو بني إسرائيل، حيثما يكونون، منها قولهم: «وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمودٍ من غمام ليهديهم الطريق، وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم ليسيروا نهاراً أو ليلاً. لم يبرح عمود الغمام نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب».

ومن عقائدهم الفاسدة قولهم في سفر التكوين: «فندم الرب أنه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض، الإنسان مع البهائم، والدَّبَّابات وطير السماء لأني ندمت على خلقي لهم».

وتصل الوقاحة بهؤلاء القوم الفاسدي العقيدة إلى حد الحديث عن توزيع ساعات عمل وبرامج ينسبونها للرب تعالى، منها اللهو مع لوياتان، تعالى الله عن كفرهم ومزاعمهم الباطلة؛

يقولون في التلمود: «لكن ألم يقل ح. يهودا باسم رابه: هنالك اثنتا عشرة ساعة في اليوم، ينشغل القدوس، المبارك، في ثلاث ساعات منها بالتوراة، وفي الساعات الثلاث التي تليها يحاكم العالم ككل، وعندما يرى أنه عرضة للتدمير، يقوم عن كرسي الدينونة ويجلس على كرسي الرحمة. وفي الساعات الثلاث التي تليها يمدُّ العالم كلَّه بالطعام، من أعظم الخلائق إلى أصغرها، وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع لوياتان. . . لكن في الساعات الثلاث الرابعة يعلِّم التوراة لطلبة المدارس. . . يمكننا القول إذا شئتم، إنه يفعل في الليل ما يفعله في النهار. ويمكننا القول، إذا شئتم، إنه يركب على غمامة ليله ويتحرك في كل الاتجاهات».

إن هذه المقولات تشكِّل هرطقات وأراجيف بحق الذات الإلهية لا يقبلها عاقل، كما أنها تبعد يهوداً من التوحيد. وقد جاءت النصوص في القرآن الكريم تردُّ على مثل هذه المفاهيم والعقائد الفاسدة عند هؤلاء القوم. قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء/ ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة/ ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة/ ٧٢].

يهود وعقيدتهم الفاسدة في الأنبياء

إن عقيدة يهود الفاسدة في التوحيد، ومزاعمهم وأراجيفهم

بحق الله تعالى، امتدت إلى عقيدتهم في الأنبياء حيث قاتلوا الأنبياء، وحاربوا الدعوة إلى الله تعالى، كما أنهم أنكروا عصمة الأنبياء، وألصقوا بهم تهماً لا يقبلها منطق، ولا يقرُّ بها عاقل، لقد وصل الأمر بهم إلى حد اتهام النبي سليمان عليه السلام بالشِّرك، وأنه مال إلى عبادة آلهة وثنية بسبب زوجاته. لقد قالوا في سفر الملوك الأول: «وكان في زمن شيخوخة سليمان أنَّ نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشَّرَّ في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه».

إن هذه المزاعم بحق سليمان عليه السلام، وفيها تهم خطيرة من انحراف في العقيدة إلى فعل الشر، تبيِّن فساد عقيدة هؤلاء الناس. ولم يكتفوا بهذا الحد بل تجاوز ذلك إلى غرائب، وفي الوقت نفسه إساءات وصلت إلى حد اتهام لوط عليه السلام بأنه قد سكر ووقع على ابنتيه وقد حملتا منه، ورد عندهم في سفر التكوين: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل أهل الأرض، هلمَّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم

باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إنِّي قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما».

إن هذه القصة المختلقة تحمل إساءة كبرى لنبي ولابنتي نبي، وتشجع على الفساد، وتناقض العصمة التي تشكِّل إحدى أساسات الاصطفاء النبوي.

ومن القصص التي اختلقها يهود على هذا المنوال نفسه قصة يتهمون فيها النبي داود عليه السلام بأنه وقع بزوجة أحد جنوده، وأنه تآمر على هذا الجندي، أوريا الحثي، لتكون له الزوجة بعده، وقد صاغوا القصة المزعومة بطريقة تثير الاستغراب، وتصلح، كما يتبيَّن من نصها، كي تكون مادة لمسرحية إباحية محشوة بكل أشكال الخيانة والرذيلة والغدر. قالوا في سفر صموئيل الثاني: «وأما داود فأقام في أورشليم، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي. فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها،

ثمَّ رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى. فأرسل داود إلى يوآب يقول: أرسل إليَّ أوريا الحثِّي. فأرسل يوآب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حِصَّة من عند الملك. ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيِّده ولم ينزل إلى بيته، فأَخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداود: إن التابوت، وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتي. وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك. فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده. ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره. وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيِّده وإلى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت. وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض

الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً.

. . . فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا، رجلها، ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمَّها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً».

تهم مستهجنة يوجهها يهود إلى نبي غير مراعين لعصمة أو حرمة، وما ورد في وقائع هذه الحكاية المزعومة لا يقوم بها إلا محترفون للرذائل، وحاشا لنبي معصوم أن يصدر عنه هكذا أفعال.

ولم يكتفِ يهود بالتجني على الأنبياء من جهة العصمة والسيرة والمسلك، وإنما مارسوا العدوان المباشر على أنبياء كثيرين، وبعض حالات هذا العدوان كانت نتيجتها القتل، وقد وردت نصوص قرآنية تبين تجديفهم هذا بحق الذات الإلهية، وأفعالهم الإجرامية ضد الأنبياء. يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران/ ١٨١]، ويقول الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران/ ١١٢].

تأسيساً على ما تقدم نقول: إن يهود باؤوا بغضب من الله تعالى بسبب عقيدتهم الفاسدة في الله تعالى وفي الأنبياء، وهذا

يدفع إلى التقرير بأنهم لا دين لهم ما داموا على فساد العقيدة هذا.

الأدبيـات اليهوديـة

يعتمد يهود مجموعتين من الأدبيات، وهي عندهم في موقع التقديس هي: العهد القديم ـ التلمود.

١ ـ **العهد القديم**: يتكون الكتاب المقدس المعتمد من قسمين أساسيين هما: العهد القديم والعهد الجديد. ويتكون العهد القديم من ثلاثة أقسام هي:

أ ـ **التوراة**: وتتكون من الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام، وتسمى الناموس. وكلمة توراة تعني: الهداية أو الإرشاد. وهذه الأسفار هي: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين أو الأحبار، سفر العدد، سفر التثنية أو تثنية الاشتراع. والتوراة معتمدة عند كل الفرق اليهودية بخلاف الأقسام الأخرى من العهد القديم أو التلمود.

ب ـ **أسفـار الأنبيـاء**: وهـم الأنبيـاء الأولـون، أي يشـوع والقضاة وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني. والمتأخرون وينقسمون إلى الأنبياء الكبار وهم: أشعيا وأرميا وحزقيال، والأنبياء الصغار وهم: هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي.

جـ ـ **الكتابات أو الكتب**: وهي المزامير والأمثال وأيوب

ونشيد الإنشاد وراعوث والمراثي والجامعة وأستير ودانيال ونحميا وعزرا، وأخبار الأيام الأول والثاني.

إن كتابة العهد القديم استمرت من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وأول نسخة مكتملة ظهرت في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد، وأول قراءة لنصوص منه كانت مع عزرا في حوالي سنة ٤٤٤ ق.م.

إن نصوص العهد القديم عُرفت كذلك عند علماء اليهودية باسم: «التناخ» ويكتبونها بالعبرية (ت، ن، ك) وهي الحروف الأولى من توراة، ونبيئيم (الأنبياء)، وكتوبيم (الكتب). ومن الأسماء المستعملة: «المِقْر» أي النص المقروء. وهناك اسم ثالث هو «المِسُورَة» أو «المِسُورتْ»، ويعنون بالاسم: النص المقدس المروي عن الأسلاف. وكلمة مسورة معناها: التقليد.

إن أقدم مخطوطات العهد القديم هي التي اكتشفت في أواسط القرن العشرين للميلاد واشتهرت باسم لفائف البحر الميِّت، أو مكتشفات وادي قمران. والحكاية هي أن أحد الرعاة واسمه محمد الديب فقد أحد خرافه، وكان ذلك ربيع ١٩٤٥ م، وأثناء البحث عنه عثر صدفة، في مغارة، على مجموعة من اللفائف القديمة، وبعد ذلك، في عام ١٩٥٢ م، استكمل الاكتشاف في مغارة ثانية، مما جعل المهتمين يفتشون المساحة المحيطة بحدود ثمانية كيلومترات مربعة، وقد أعثر البحث عن مخطوطات للعهد القديم بكامله تقريباً باستثناء سفر

أستير، وتبين أن هذه اللفائف تعود إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد.

أما طباعة العهد القديم بالعبرية فقد تمت، لأول مرة، سنة ١٤٨٨م في سوتشيو في دوقية ميلانو بإيطاليا، ثم كانت الطبعة الثانية سنة ١٤٩٤ م في بريسشيا، وهذه الطبعة اعتمدها لوثر لإعداد ترجمته الألمانية.

والعهد القديم وبعده العهد الجديد، ويجمعان في الكتاب المقدس، استمرت عملية تدوينهما ستة عشر قرناً، حسب ما جاء في قاموس الكتاب المقدس: «ويبلغ عدد الكتّاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتباً، وهم من جميع طبقات البشر، بينهم الراعي والصيّاد وجابي الضرائب والقائد والنبي والسياسي والملك... الخ، واستغرقت مدة كتابتهم ألفاً وست مئة سنة».

وأسفار العهد القديم وعدد إصحاحاتها وفق الترتيب التالي:

١ ـ سفر التكوين ٥٠ إصحاحاً.

٢ ـ سفر الخروج ٤٠ إصحاحاً.

٣ ـ سفر اللاويين (الأحبار) ٢٧ إصحاحاً.

٤ ـ سفر العدد ٣٦ إصحاحاً.

٥ ـ سفر التثنية (تثنية الاشتراع) ٣٤ إصحاحاً.

٦ ـ سفر يشوع ٢٤ إصحاحاً.

٧ ـ سفر القضاة ٢١ إصحاحاً.

٨ ـ سفر راعوث ٤ إصحاحات .

٩ ـ سفر صموئيل الأول ٣١ إصحاحاً .

١٠ ـ سفر صموئيل الثاني ٢٤ إصحاحاً .

١١ ـ سفر الملوك الأول ٢٢ إصحاحاً .

١٢ ـ سفر الملوك الثاني ٢٥ إصحاحاً .

١٣ ـ سفر أخبار الأيام الأول ٢٩ إصحاحاً .

١٤ ـ سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦ إصحاحاً .

١٥ ـ سفر عزرا ١٠ إصحاحات .

١٦ ـ سفر نحميا ١٣ إصحاحاً .

١٧ ـ سفر أستير ١٦ إصحاحاً .

١٨ ـ سفر أيوب ٤٢ إصحاحاً .

١٩ ـ سفر المزامير ١٥٠ إصحاحاً .

٢٠ ـ سفر أمثال سليمان ٣١ إصحاحاً .

٢١ ـ سفر الجامعة ١٢ إصحاحاً .

٢٢ ـ سفر نشيد الإنشاد ٨ إصحاحات .

٢٣ ـ سفر نبوءة أشعيا ٦٦ إصحاحاً .

٢٤ ـ سفر نبوءة أرميا ٥٢ إصحاحاً .

٢٥ ـ سفر مراثي أرميا ٥ إصحاحات .

٢٦ ـ سفر نبوءة حزقيال ٤٨ إصحاحاً .

٢٧ ـ سفر نبوءة دانيال ١٢ إصحاحاً .

٢٨ ـ سفر نبوءة هوشع ١٤ إصحاحاً .

٢٩ ـ سفر نبوءة يوئيل ٣ إصحاحات.

٣٠ ـ سفر نبوءة عاموس ٩ إصحاحات.

٣١ ـ سفر نبوءة عوبديا ١ إصحاح واحد.

٣٢ ـ سفر نبوءة يونان ٤ إصحاحات.

٣٣ ـ سفر نبوءة ميخا ٧ إصحاحات

٣٤ ـ سفر نبوءة ناحوم ٣ إصحاحات

٣٥ ـ سفر نبوءة حبقوق ٣ إصحاحات.

٣٦ ـ سفر نبوءة صفنيا ٣ إصحاحات.

٣٧ ـ سفر نبوءة حجي ٢ إصحاحات.

٣٨ ـ سفر نبوءة زكريا ١٤ إصحاحاً.

٣٩ ـ سفر نبوءة ملاخي ٤ إصحاحات

هذه هي أسفار العهد القديم، وفق الصيغة المعتمدة حالياً في الكتاب المقدس المتداول.

التلمود: كلمة معناها «التعليم»، وهو كتاب يلي العهد القديم في القداسة عند يهود، وبعض فرقهم كالفريسيين تتمسك به أكثر من العهد القديم، ولذلك ذهب بعض المؤرخين بأنه من وضعهم. والتلمود تلمودان:

١ ـ **التلمود المقدسي أو الأورشليمي**: نسبة لبيت المقدس، وقد قام بوضعه مجموعة حاخامات عرفوا باسم «أمورايم»؛ أي المفسرين.

٢ ـ **التلمود البابلي**: نسبة لبابل في العراق، وقد وضعه كبير

حاخامات «سوره» قرب بغداد واسمه رب أشي، وأتمَّه آخرون بعده في القرن الخامس الميلادي.

والتلمود متأخر عن العهد القديم في الظهور، وقد ظهرت نسخه في أواخر القرن السادس الميلادي بعد المسيحية، لذلك نجده قد تضمن اتهامات وعبارات ومواقف عنصرية ضد المسيح عليه السلام والمسيحية، وعند يهود يحظى التلمود البابلي بالمكانة الأهم.

والتلمود من قسمين: المِشْنا والجمارا.

- **المِشْنا** هي شرائع تناقلها يهود شفهياً، وهي نصوص تتوزع في ستة أقسام، يتضمن كل منها أبواباً فرعية وهي:

«أ - كتاب «**زراعيم**» أي البذور أو الانتاج الزراعي، ويتضمن القوانين الدينية الخاصة بالأرض والزراعة، ويبدأ بتحديد الصلوات المفروضة والبركات أو الأدعية.

ب - كتاب «**مُوعِد**» أي العيد، وهو الذي يحتوي على الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت وبقية الأعياد والأيام المقدسة.

جـ - كتاب «**ناشِيم**» أي النساء، وفيه النظم والأحكام الخاصة بالزواج والطلاق.

د - كتاب «**نِزيقين**» أي الأضرار، ويحتوي على جزء كبير من الشرائع المدنية والجنائية، بما في ذلك القصاص والعقوبات والتعويضات.

هـ ـ كتاب «**قُدَاشيم**» أي المقدسات، ويحتوي على الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل.

و ـ كتاب «**طهاروت**» أي الطهارة، وفيه الأحكام الخاصة بما هو طاهر، وما هو نجس، وما هو حلال، وما هو حرام من المأكولات والمشروبات وغيرها».

ـ **الجمارا**: أي التكملة. إنها مجموع شروحات وحواشي أو تبسيط قواعد تدور حول نصوص «المِشْنا»، وتحوي مسائل وتطبيقات لتشريعات وردت في المِشْنا.

إن التلمود، وقد صاغه يهود بعد موسى عليه السلام بحوالي ٢٠٠٠ سنة، حوى خصوصاً في «الجمارا» التي مكّنتهم من التوسع في إظهار عنصريتهم، ولذلك شكلت الثقافة التلمودية ولا تزال المادة الثقافية الأساسية للفكر الصهيوني العنصري.

لقد جلب التلمود النقمة على يهود في أوروبا، وتعرضوا بسببه لمواقف وإجراءات بين حين وآخر. وقد ورد في كتاب: «التلمود: تاريخه وتعاليمه» المعلومات التالية:

إن نسخ التلمود أُحرقت لأول مرة في فرنسا سنة ١٢٤٤ م، في باريس وصدرت الأوامر بإتلاف نسخ التلمود من فرنسا من سنة ١٢٦٦ م حتى سنة ١٢٧٠ م، كما تمَّ ذلك في إنكلترا سنة ١٢٩٠م حين أمر الملك بطرد يهود من البلاد. وفي سنة ١٥٦٥م، أصدر البابا بيوس الرابع أمراً بأنه يجب أن يُحرم التلمود حتى من اسمه. وقد قام البابا جريجوري الثالث عشر (١٥٧٥ م ـ

١٥٨٠م) بحملات جديدة ضد التلمود. وهاجم مجلس في بولندا عام ١٨٤٠م التلمود بأنه مصدر احتقار اليهودية للدين المسيحي، وغير هذا كثير.

من الطقوس والشعائر اليهودية

سنتوقف في هذا المبحث أمام بعض الطقوس اليهودية في إطار تحديدها وتحديد آلية أدائها، وستعالج ما يلي:

١ ـ **الصلاة**: ترتبط الصلاة عند يهود، غالباً، بظرف خاص أو حدث ما يتعرض له الفرد أو المجموعة. جاء حول الصلاة عند يهود في «معجم اللاهوت الكتابي» بأنها «تنبع انطلاقاً مما حدث، أو يحدث، أو لكي يحدث شيء ما، حتى يمنح الله خلاصه للأرض. فمضمون صلاة إسرائيل يحدِّد صلتها بالتاريخ. والتاريخ المقدس، من جهته، مطبوع على الصلاة. المدهش أننا نلاحظ كيف تبدو الفترات الحاسمة من هذا التاريخ مقرونة بصلاة الوسطاء أو الشعب بأسره، استناداً إلى معرفة قصد الله، طلباً لتدخله في اللحظة الراهنة».

والصلاة عندهم تؤدَّى على طريقتين: فردية، أي شخصية، ومشتركة، أي جماعية.

أ ـ **الصلاة الفردية**: صلاة ارتجالية تؤدى حسب الظروف والحاجة الشخصية الخاصة، ولا علاقة لها بطقوس محددة أو مواعيد ثابتة. من نماذج هذه الصلاة عند يهود صلاة ينسبونها إلى موسى عليه السلام، وأنه أدَّاها بعد التيه والخروج من

مصر. ورد عندهم في سفر الخروج: «فتضرع موسى إلى الرب إلهه، وقال: يا ربِّ لِمَ يضطرم غضبك على شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. ولِمَ يقولون المصريون إنه أخرجهم من ههنا بكيدٍ ليقتلهم فيما بين الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض، إرجع عن شدة غضبك وعَدِّ عن مساءة شعبك... فعدَّى الرب عن المساءة التي قال إنه يُحلُّها بشعبه».

هذا النص يحمل الإساءة للذات الإلهية حين يصورون الرب أنه يوقع المساءة، وبعد طلب موسى يتراجع ويتجاوز ذلك، وبذلك نجدهم مسيئين في كل ما صدر منهم حتى في الصلاة.

ب ـ **الصلاة الجماعية**: أو المشتركة، ويشترك فيها مجموعة أشخاص علناً، وفي أماكن مخصصة للعبادة، وفي مواعيد معلومة، والذي يقرِّر ذلك الكهنة والحاخامون. ولم يعرفوا هذا النوع من العبادات إلا بعد أن بنوا الهياكل والخيم الخاصة لهذه الغاية، وقد جاءهم الأمر بالتطهر وتجنب المفاسد حتى تقبل منهم هذه الصلاة، في سفر نبوءة أشعيا: «فحين تبسطون أيديكم أحجب عينيَّ عنكم، وإن أكثرتم من الصلاة لا أستمع لكم لأن أيديكم مملوءة من الدماء. فاغتسلوا وتطهروا وأزيلوا شرَّ أعمالكم من أمام عيني وكفُّوا عن الإساءة».

ويقول د. حسن ظاظا: «كان الأتقياء والمتعبدون يصرفون نحو ساعة من الزمان استعداداً للصلاة، فيما يخصُّ النظافة

واللبس وجمع الأفكار وما أشبه ذلك». والصلاة عندهم واجبة على الرجال والنساء. أما عن هيئة صلاتهم فيقول د. حسن ظاظا: «وكانوا يصلون جلوساً ووقوفاً، يركعون، ويسجدون، ويبوقون، ويصوِّتون، ويبكون في تضرعاتهم واعترافاتهم حتى يومنا هذا». والصلاة عندهم، بعد غسل اليدين، يكون لها لباس خاص يبدأ من وضع غطاء على الرأس والشال الذي تتدلى منه الخيوط الزرقاء، وفي كل زاوية منه أربعة أهداب بيضاء وأربعة زرقاء، وهذا الشال لا يجوز أن تلمسه امرأة، وكذلك يلبسون أو يحملون التفلين، وهي علبة أو محفظة من الجلد بداخلها رقعة يكتب عليها نص من السماع، وهو من سفر التثنية في الإصحاح السادس، أو في الإصحاح الحادي عشر، أو من سفر العدد في الإصحاح الخامس عشر.

ويهود يتشددون في الطهارة بعد الجنابة، ويكون بعد الجنابة ضروري الاغتسال لكل من الرجل والمرأة. ففي سفر الأحبار: «وأي رجل خرجت منه نطفة مضاجعة فليغسل جميع بدنه بالماء، ويكون نجساً إلى المغيب، وأي امرأة ضاجعها رجل بنطفة فليرتحضا بالماء ويكونا نجسين إلى المغيب».

أما مواقيت الصلاة عند يهود فهي ثلاثة محددة على الوجه التالي:

«(١) **صلاة الفجر**، ويسمونها صلاة السحر (شحاريت)، ووقتها حسب ما قررته المِشْنا منذ أن يتبيَّن الخيط الأبيض من

الخيط الأزرق إلى ارتفاع عمود النهار.

٢) ـ **صلاة نصف النهار** أو القيلولة (مِنْحة)، وتجب منذ انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب.

٣) ـ **صلاة المساء**، ويسمونها صلاة الغروب (عَرِبيت) ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق إلى أن تتم ظلمة الليل الكاملة».

٢ ـ **الصوم**: الصوم، كما يفهمونه، عبادة تدل على الالتزام بطاعة الله، وطلب القرب منه، أو العون، وقد يؤدونه جماعة في مناسبات معينة، وقد يؤديه فرد بشكل شخصي لحاجة معينة، وبذلك يكون حال الصوم كحال الصلاة. والصوم المتفق عليه عندهم هو يوم الكفارة، وهو يوم نجاة موسى عليه السلام مع قومه من فرعون في البحر، وهذا اليوم كان يوم الصوم الوحيد المطلوب حسب الناموس.

وقد ورد بشأن هذا الصوم في سفر اللاويين ما يلي: «أما العاشر في الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم تذلِّلون فيه نفوسكم وتقربون وقيدة للرب. وفي هذا اليوم عينه لا تعملوا عملاً لأنه يوم كفّارة يُكفَّر فيه عنكم بين يدي الرب إلهكم، فكل إنسان لا يذلِّل نفسه في هذا اليوم عينه يقطع من شعبه».

والصوم ـ عندهم ـ قد يكون كفارة عن خطأ أو إثم وقع فيه الإنسان، وقد ورد في مثل هذا الصوم في سفر الملوك الأول:

«فلما سمع آحاب هذا الكلام مزَّق ثيابه وجعل على بدنه مسحاً وصام وبات في المسح (مسح البدن بالزيت) ومشى ناكساً».

وقد ينذرون الصوم أو يقومون به مقروناً بالدعاء في إطار طلب الشفاء لمريض من الله تعالى. ففي سفر صموئيل الثاني: «فتضرَّع داود إلى الله من أجل الولد وصام داود وبات مضطجعاً على الأرض... فقال لما كان الصبي حيّاً صُمْتُ وبكيت لأنِّي قلت من يعلم لعل الربَّ يرحمني ويحيا الصبي. وأما الآن فقد مات، فلماذا أصوم، أفأستطيع أن أردَّه بعد، أنا أصير إليه وهو لا يرجع إليَّ». ويتضح من هذا النص أن الصوم مرتبط بطلب الشفاء، أما إذا حصل الموت فإن واحدهم يوقف صومه.

كما أن الصوم قد يكون عندهم بعد نكسة أو خسارة عسكرية، فقد جاء في سفر صموئيل الأول: «فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماءً وصبُّوا أمام الرب وصاموا في ذلك اليوم، وقالوا هناك قد خطئنا أمام الرب وقضى صموئيل لبني إسرائيل في المصفاة».

٣ ـ **الختان**: طقس ملزم وفرض عند يهود، والختان قطع لحم غرلة الذكر، وقد بدأ الختان مع إبراهيم وهو متقدم في السن. ففي سفر التكوين: «فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع مواليد بيته وسائر المشترين بفضته، كل ذكر من أهل منزله، فختن القلفة من أبدانهم في ذلك اليوم عينه بحسب ما أمره الله به. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة عند ختنه لحم قُلفته.

وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختنت القلفة من بدنه».

وقد تجدد الأمر بالختان مع موسى عليه السلام، كما جاء في سفر اللاويين: «وكلَّم الرب موسى قائلاً إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام. . . وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته»، وقد فرضوه على كل من يتهوَّد، أيّاً كانت سنُّه. ففي سفر التكوين بلسان بني يعقوب: «إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم».

والختان شرط من شروط التعييد بيوم الفصح. ويهود كانوا يفاخرون بالختان، وكانوا يشهِّرون بغير المختونين فيسمونهم: أهل العزلة، والمعاصرون يمارسون الختان في مجمع ويأخذ الولد رجل يسمونه: سيد العهد؛ ثم يقوم الخاتن بالعملية مع بعض الطقوس.

٤ ـ **القرابين**: عرفت القرابين عند شعوب وديانات كثيرة، وفي اليهودية، ومع موسى عليه السلام، بات لها نظام دقيق وحُصر تقديمها بالكهنة، وكانت القرابين تعبيراً عن التوبة وتكفيراً عن بعض الخطايا، أو من باب الشكر على النجاح أو السلامة.

وبالنسبة للقرابين تكون ثوراً فتياً (عجلاً) من البقر، أو خروفاً ابن حول(عام) من الغنم، ومن كان فقيراً لا يستطيع ذلك يجوز له أن يقدم قرباً زوجاً من الحمام.

جاء في سفر اللاويين: «وإن كان قربانه ذبيحة سلامة من

البقر، ذكراً أو أنثى، فصحيحاً يقربه بين يدي الرب، وإن كان قربانه من الغنم ذبيحة سلامة للرب ذكراً أو أنثى فصحيحاً يقربه. وإن كان قربانه حملاً فليقربه بين يدي الرب. وإن كان قربانه من المعز فليقربه بين يدي الرب».

وجاء كذلك: «فإن لم يكن في يدها ثمن حمل فلتأخذ يمامتين أو فرخي حمام، أحدهما مُحْرقة والآخر ذبيحة خطّاءٍ فيكفِّر عنها الكاهن فتطهر».

والقرابين تكون للسلامة، كما ورد في النص الأول، وفي الأمر نفسه جاء في سفر اللاويين: «متى ذبحتم ذبيحة سلامة للرب فللرضا عنكم تذبحونها».

والقربان للتكفير عن الخطيئة، ورد فيه في سفر اللاويين: «إذا أخطأت نفس سهواً في شيء من جميع مناحي الرب التي لا ينبغي عملها وعملت واحدة منها. إن كان الكاهن الممسوح يخطىء لائم الشعب يقرب عن خطيئته التي أخطأ ثوراً ابن بقر صحيحاً للرب ذبيحة خطيئة».

والقرابين متنوعة عندهم لكن تقدم عند بيوت العبادة وبواسطة الكهنة.

٥ ـ **المسح بالزيت**: وهو من الطقوس البارزة، ويكون بصب الزيت أو الدهن المقدس على الشخص ومسح بدنه به، وكان يمارس عملية المسح الكهنة زاعمين أنهم بذلك يمنحون البركة للممسوح.

جاء في سفر الخروج: «ومن زيت الزيتون هيناً، وتصنعه دهناً مقدساً، عطر عطارة، صنعة العطار، دهناً مقدساً للمسحة يكون، وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتها والمنارة وآنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة، وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها، وتقدسها لتكون قدس أقداس. كل ما مسها يكون مقدساً. وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم». فمسحة الزيت بعد تركيبه مع مواد عطرية ليتحول إلى دهن مقدس إذن تشمل كل شيء وتكون القداسة لكل ما يمسح.

وقد وردت عندهم نصوص أخرى تبين أهمية إدخال الزيت في القرابين والعبادات، هذا مع مباركة المصدر وهو شجرة الزيتون، ففي سفر اللاويين: «وأي إنسان قرَّب قربان تقدمةٍ للرب فليكن قربانه سميذاً يصب عليه زيتاً ويجعل عليه لبناً. ويأتي بذلك بني هارون الكهنة، فيأخذ الكاهن ملء قبضةٍ من سميذها وزيتها مع جميع لبانها ويقتر تذكارها على المذبح وقيدة رائحةٍ رضىً للرب. وإن قربت قربان تقدمة مخبوزاً في تنور فليكن جرادق من سميذ فطير ملتوتة بزيت ورقاق فطير ممسوحة بزيت».

وقد استخدم المسح بشكل واسع للأنبياء والكهنة فبات في طقوسهم الأساسية.

الفرق والطوائف اليهودية

إن أتباع اليهودية انقسموا إلى فرق وطوائف بسبب اختلاف

مفاهيمهم الدينية، وكان ذلك منذ زمن بعيد، وموضوعات الاختلاف كان منها الإيمان بمعاد أخروي، والنصوص المعتمدة من العهد القديم، والنظرة إلى التلمود وغير ذلك، وأبرز فرقهم:

١ ـ **الفريسيون**: أو الفريزيون؛ بالعبرية «فروشيم»: وهم طائفة من المتفقهين في الدين كانوا يسمون أنفسهم «السوفريم»، أي الفقهاء، أو «الشابمهيريم» أي المفكرين، الأحرار. وهم طائفة كانت مفروزة أو معزولة، كانوا من المتعمقين في الشريعة الموسوية، «وقد كانوا يعتقدون أنهم ممتازون بما لديهم من دراية بأحكام الشريعة اليهودية وتفسير غوامضها... وأضفوا على أنفسهم كثيراً من ألقاب الكرامة والتبجيل والعلم». كما أنهم كانوا يسمون «حسدييم» أي الأتقياء، وقد وقف الفريسيون عند ظاهر النصوص وشكل الناموس، وكانوا يقبلون في تراثهم الديني كل ما يتناقله أسلافهم، وكانت نشأتهم زمن المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد.

وبالنسبة لعقيدتهم، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس: «من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر، ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة. وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد، ووجود الأرواح، ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها... وقالوا بوجود تقليد سماعي عن موسى عليه السلام تناقله الخلف عن السلف،

وزعموا أنه معادل لشريعته المكتوبة سلطة وأهم منها» هذه الشريعة السماعية هي التلمود.

٢ ـ **الصدوقيون**: الفرقة الأكبر عند يهود بعد الفريسيين، ومؤسسها هو «صديق بن أخيطوب، سليل أليعازر بن هارون، وكان أحد الكاهنين العظيمين في عهد الملك داود. ثم انفرد بالكهنوت الأعظم في عهد الملك سليمان. وقد احتفظت سلالته بعهد الكهنوت حتى عصر المكابيين... وكان الصدوقيون طبقة أرستقراطية عريضة الثراء عظيمة النفوذ، ولذلك كانت حريصة على استرضاء السلطة الحاكمة... وبهذا أصبح نفوذهم السياسي يفوق نفوذهم الديني». أبرز ما تطرحه هذه الفرقة:

أنها لا تؤمن بقيامة الأموات من القبور ولا بالثواب والعقاب، وتأخذ بالعهد القديم، ولا تؤمن بالتلمود وسواه من النصوص.

٣ ـ **السامريون**: فرقة يهودية قليلة الأتباع، لكنها لم تزل موجودة، يؤمنون بيوم الدينونة، ولا يعترفون سوى بالأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، والمعروفة باسم «التوراة». إقامتهم الحالية في نابلس، ولهذه الفرقة حياة خاصة، ولا تختلط مع باقي يهود وهذا معتمد منذ أمد بعيد، ويعتقدون أنهم الصفوة المتبقية من بني إسرائيل، وأنهم حماة ناموس موسى، والشعب المختار، ولا يتزاوجون مع يهود الآخرين، وعدد أتباع هذه الفرقة يقارب الأربعماية نسمة.

ويقدس السامريون جبل «جريزيم» الواقع بين نابلس والقدس، ويعتقدون أن الهيكل قد بُني عليه، وهو الطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام.

٤ ـ **الإسينيون**: فرقة تفرَّعت من الفريسيين، وعاش أتباعها حياة خاصة في محيط البحر الميت، وكان ظهورهم في القرن الثاني قبل الميلاد، ومن الأسماء التي أطلقت عليهم تسمية: «المغتسلين» أو «الأطهار».

اشتهر عنهم التقشف والتخلي عن مطالب الدنيا، والمبالغة في الاغتسال أكثر من مرة في اليوم الواحد، وكانوا يمتنعون عن أكل اللحوم، وعن الزواج.

أبرز الوثائق التي تشير إلى هذه الفرقة لفائف البحر الميت، وهي المخطوطات التي تمَّ العثور عليها في وادي قمران في منتصف القرن العشرين للميلاد.

آمن الإسينيون بداية بالمسيحية، واتبعوا المسيح عليه السلام مع التمسك بناموس موسى، ولكنهم رفضوا دعوة بولس، لذلك انفردوا بمذهبهم وعرفوا باسم المسيحيين اليهود أو الأبيونيين.

٥ ـ **الناموسيون، أو الكتبة، أو الربانيون**: هم الذين اعتنوا بتدوين العهد القديم ونسخه وكان أبرزهم عزرا، وقد تخصصوا بالتفقه في الشريعة الموسوية، وكانوا متشددين، ومنهجهم الاستعلاء على كل من هو غير يهودي، وهذه المجموعة هي

الأكثر عنصرية، وقد شكلوا طبقة خاصة وإن في غالبهم أصلاً من الفريسيين.

ونترك لمغربي دخل في الإسلام، بعد أن كان يهودياً، ليعرفنا بهم. شموائيل بن يهوذا بن أبوان الذي بات اسمه السموأل بن يحيى المغربي، يقول فيهم: «وهم أكثر عدداً، وهم شيعة الحاخاميم الفقهاء، المفترين على الله عزَّ وجلَّ، الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصوت، الذي أسموه (بث قول)»، و«كان الناموسيون أصحاب القول الفصل في أمور الحياة، كالزواج والطلاق، وشؤون العبادة، كالصيام والصلاة وحفظ السبت، إلى أبسط الأمور التي تعرض لليهودي في حياته».

٦ ـ **القبَّالة**: تيار يهودي أفكاره مزيج من اليهودية وزرادشتية الفرس والأفلاطونية، ويأخذون بالتلمود إلا أنهم يزعمون أن له تفسيرات باطنية لا يعرفها سواهم، والقبالة كلمة آرامية معناها قبول أو تلقي الرواية الشفوية. ويقوم مبدأهم على انتظار المسيح المخلص للشعب المختار، وقد صاغوا أفكارهم في مجموعة أدبية كتبوها بلهجة آرامية خاصة سُمِّيت: «زوهار»، والكلمة «زوهار» معناها النور أو الضياء، والاسم مستمد من نص في سفر نبوءة دانيال جاء فيه: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدي. ويضيء العقلاء كضياء الجلد، والذين جعلوا كثيرين أبراراً كالكواكب إلى الدهر والأبد».

وواضع الزوهار موسى اللبوني (١٢٥٠ ـ ١٣٠٥ م) في الأندلس (إسبانيا)، غير أن ما حواه «الزوهار» يعود إلى عهود سابقة على واضعه، ومن أبرز من نقلت عنهم آثار فيه الحاخام سمعان بن يوشاي من القرن الثاني الميلادي، وقد لعبت القبالة دوراً أساسياً في تاريخ اليهودية خاصة فكرة المسيح الموعود المنتظر، حيث حصل أن زعم غير واحد بأنه هذا المسيح.

٧ ـ **الدونمة أو الدومنة**: كلمة من التركية تتألف من مقطعين: دو: اثنان، وهي فارسية الأصل، نمة، أو منة: نوع. والكلمة بكاملها تعني الفرقة القائمة على أصلين أو مفهومين. ويهود الدونمة فرقة نشأت في تركيا في القرن السابع عشر، والمؤسس ساباتاي زيوي الإزميري المولود عام ١٦٢٦ م، وهو من يهود الأندلس الذين خرجوا منها مع العرب بعد أن استولى عليها الفرنجة الصليبيون، وقد توفي في عام ١٦٧٥ م. أطلق زعماً في العام ١٦٤٨ م بأنه المسيح الموعود، وطلب أن ينادي أتباعه باسمه بديلاً عن السلطان العثماني، وقد تبعه يهود من إزمير وسالونيك في تركيا وفي فلسطين، وكان من أبرز من دعوا له «ناثان بنيامين».

على أثر فتنته أمر السلطان العثماني بنقله إلى أدرنة، واتقاءً للخطر سلك زيوي هذا مسلكاً ازدواجي النهج، حيث أعلن أنه قد دخل في الإسلام، وأمر أتباعه ظاهراً بذلك، ولكنه تشدد في توجيههم إلى البقاء على يهوديتهم في الحقيقة، فبات هؤلاء

على عقيدتين وشرعين واسمين ومسلكين، وكل ما في حياتهم له ظاهر ومستتر لذلك كانت تسميتهم: يهود الدونمة، وقد كان ولا يزال لهذه الفرقة دور تخريبي في تركيا.

الصهيونية: النشأة والأطماع

حركة عنصرية نشأت مع أواخر القرن التاسع عشر، والتسمية نسبة لربوة صهيون في القدس، ويزعم يهود أن حقاً لهم في إقامة هيكل فيها، مع العلم أن القدس كنعانية المنشأ، وحكمها مع جوارها اليبوسيون لمئات السنين في الألف الثالث قبل الميلاد. وربوة صهيون كان عليها قصر أحدهم الشيخ سالم اليبوسي في حوالي العام ٢٥٠٠ق.م. أما الربط الذي أحدثوه مع صهيون فهو ربط للسياسي بالزعم الديني ليكون لمزاعمهم وأطماعهم تبرير وتأثير في جماعتهم.

نشأت الصهيونية في أوروبا بفعل تلاقي إرادتين:

١ ـ إرادة غربية استعمارية كانت تريد أداة لها في المنطقة تحرس لها مصالحها.

٢ ـ إرادة يهودية، حيث كان يهود أوروبا يعيشون في أحياء منعزلة «غينوات» بسبب استعلائهم وعنصريتهم، وأرادوا بذلك إقامة كيان خاص بهم، وكان اختيارهم لفلسطين لأنهم يستطيعون اختلاق مزاعم دينية يهودية حولها تشكل موقع الجذب لقومهم. لهذا نشأت الصهيونية في أوروبا الغربية ولم تنشأ في مكان آخر

من العالم. وهناك عامل ديني يضاف إلى العامل الاستعماري هو أن انتشار البروتستانتية أسهم في تدعيم الحركة الصهيونية، والسبب في ذلك أن البروتستانت قد آمنوا كلياً بالعهد القديم وفيه مزاعم بأن أرض كنعان من الفرات إلى النيل ستكون للصهاينة.

إن الصهيونية «كانت ولا تزال حركة غربية، ولذا فإننا حين نستخدم كلمة صهيونية بدون تخصيص فإنما نشير إلى تلك الحركة التي نشأت في الغرب واتخذت من فلسطين مكاناً لممارساتها الاستيطانية... فالصهيونية لم تنشأ في العالم ككل، أو حتى داخل كل التشكيلات الإثنية اليهودية المتناثرة في العالم، وإنما هي إفراز تشكيل حضارة محددة وبقعة جغرافية محددة في لحظة زمنية محددة، ولا يمكن دراستها خارج هذا التشكيل».

إن الإنكليز، الذين سادت فيهم البروتستانتية، وجدوا أن فلسطين التي كانت هدف أجدادهم الفرنجة في القرن الثاني عشر الميلادي مع سواهم من الأوروبيين، بات المشروع الاستعماري لها أن تكون موطناً للصهاينة، وعلى هذا الأساس كانت بريطانيا الداعم الأساسي للصهيونية، ومنها كان وعد بلفور في ٢/١١/١٩١٧م، وبلفور، وزير خارجية بريطانيا يومها، وعد الحركة الصهيونية بأن يسلموا لها فلسطين بعد الانتداب عليها وهذا ما كان في العام ١٩٤٨م، وكان ذلك الوعد ممن لا يملك إلى من لا يستحق.

إن تياراً قد نشأ في الغرب، ولاحقاً في أمريكا، باسم «الصهيونية غير اليهودية». هذا التيار يعتقد بأن تجميع يهود في فلسطين وما حولها واجب ديني، وأنه يمهد لظهور المسيح المنتظر الذي سيبدأ معه العهد الألفي السعيد، أي ألف عام من السعادة للبشرية لن تتحقق إلا بعد هذه العودة.

والسؤال: أية عودة هذه؟ ولمن ستكون؟ ما دام دائرة المعارف اليهودية الصادرة في العام ١٩٦٥م بالإنكليزية تصرح ـ وهي بأيديهم ـ بأن يهود العالم ليسوا ساميي الأصل، وأن ٩٢ بالمئة يعودون بأصولهم إلى يهود بحر الخزر (قزوين)، وهؤلاء قد تهوَّدوا عبر ملكهم بولان حوالي العام ٧٣٠ م، وليسوا من فلسطين ولا أسلافهم منها. ويبقى ٨ بالمئة من يهود العالم يتوزعون في جنسيات متعددة وقوميات شتى، فما نصيب فلسطين منهم يا ترى؟ هل مئة ألف مثلاً؟ ثم في الوطن العربي كله لم يصل عدد يهود إلى المليون، مع اعتماد يهود المغرب وهم بحدود ٧٠٠ ألف، فما الحق التاريخي الذي يدَّعونه إذن؟ كل يهودي من المحتلين لفلسطين له قومية وجنسية ووطن، وللفلسطينيين المشردين الحق بفلسطين، ولن تستقيم المعادلة أو يستقر أحد ما لم يعد الحق إلى نصابه بعودة كل مغتصب إلى حيث وفد هو أو ذووه، وكل فلسطيني إلى حيث كان هو أو ذووه.

إن المشروع الصهيوني قام أساساً على التوسع وعلى لغة

الدم. فلقد مارس المحتلون الصهاينة، وتحت جناح الإنكليز، منذ اللحظة الأولى، العنف ضد الفلسطينيين لتهجيرهم من أرضهم وديارهم، وقاموا بعمليات ضد يهود في أكثر من موقع في العالم لتبرير جلبهم على شكل مغتصبين إلى فلسطين المحتلة.

لقد زعموا أنهم الشعب المختار، وهذه سياسة «إجرامية، ذلك أنها أضفت القداسة على العدوان والتوسع والسيطرة. إن فكرة الشعب المختار، لاهوتياً، غير محتملة، لأن وجود المصطفين يقتضي وجود المبعدين. إن كل سياسة تدَّعي الاستناد إلى هذه الخرافة تؤدي إلى إنكار ورفض الآخر».

إن هذه الفكرة ولَّدت عندهم عنصرية ونزعة عدوانية دفعتهم لاستباحة دماء مَنْ عداهم. وقد تصرفوا على أساس أن دينهم «دين قتالي حربي يلبس لبوس النعاج لإخفاء نواياهم المكيدية، وهكذا فإن اعتداءاتهم الوقحة، غير السببية ولا المحرضة من الغير، تُبرَّر دينياً، وكذلك فإن كل سرقاتهم، وجرائمهم، وكذبهم لها مبرراتها الأخلاقية... وما نحن سوى النعاج الغوييم، والذئاب الفريسيون ما فتئوا يؤكدون لنا واجبنا الأخلاقي هو أن ندعهم يفترسوننا، فالإبادة الجماعية للغوييم هي أقصى درجات الأخلاق» عندهم.

إن فكرتهم الصهيونية تقوم على استخدام العنف والإبادة، لأنه لن يستتب الأمر لهم ما لم يفعلوا ذلك. وقد صاغوا بعض نصوص العهد القديم بشكل يخدم عدوانيتهم هذه، منها في سفر

العدد قولهم: «هوذا شعب كلبوءة يقوم، وكشبل ينهض لا يربض حتى يأكل الفريسة ويشرب دم الصرعى».

وفي سفر التثنية: «فاضرب أهل تلك المدينة بحد السيف وأبسلها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحد السيف. وجميع سلبها أجمعه إلى وسط ساحتها، وأحرق بالنار تلك المدينة وجميع سلبها جملة للرب إلهك فتكون ركاماً إلى الدهر لا تبنى من بعد».

إن المتابع لتاريخ الاغتصاب الصهيوني لفلسطين وللأراضي العربية الأخرى يلاحظ هذا المنهج العدواني الذي لا يرعى حرمة ولا عهداً، ولا يوفر بشراً أو حجراً إلا ويحاول إبادته والقضاء عليه.

والأمريكي، نراه الداعم الدائم لهذه التوجهات والممارسات بسبب التوحد التاريخي مع حالته. فلقد «كانت مطاردة مهاجري أوروبا للهنود الحمر، في العالم الجديد الأمريكي، مشابهة لمطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين. وقد خلق التشابه في هذه التجربة قناعة وفلسفة ووجداناً متشابهاً ومشتركاً بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث. فالذين هاجروا إلى هذه البلاد، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أبادوا معظم سكانها الأصليين من الهنود الحمر واستوطنوا مكانهم، والذين هاجروا، وما زالوا يهاجرون، من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة، في العصر الحديث، استخدموا أساليب متطورة في طرد سكانها العرب الفلسطينيين الأصليين واستوطنوا أراضيهم، بل حاولوا إبادتهم».

إن أمريكا تتوحَّد مع الصهاينة المغتصبين في منهجية الإبادة، وفي الحق المزعوم بأرض الميعاد، حيث أغلب سكان الولايات المتحدة الأمريكية من البروتستانت، وفي الأطماع وفي أن العدو الإسرائيلي مخفر شرطة لحماية مصالحهم، لكل هذا تكون الولايات المتحدة راعية الأطماع والاغتصاب، ولا يصح أن يراها فيها أحد في بلادنا، من الحكام أو الشعوب، راعية أو داعية سلام!!.

إن متابعة الأدبيات الصهيونية المعاصرة ومنها كتاب: «الشرق الأوسط الجديد» لشمعون بيريز، وكتاب: «مكان تحت الشمس» لبنيامين نتنياهو، يقف بشكل واضح على إصرار الصهاينة على أطماعهم التوسعية مع اختلاف في الأسلوب، فبيريز يريد اختراق منظومة الأمة العربية الحضارية، والتوسع من خلال التطبيع الاقتصادي والثقافي والإعلامي وسواهم، ونتنياهو يرى أن سياسة القوة والردع هي الوحيدة التي تجعل العرب يستسلمون، وبعدها ترسم الصهيونية الخريطة التي تريدها.

ولتحقيق هذه الغايات، يرى الصهاينة الأعداء أن عملهم يجب أن ينصب على مشروع تقسيم وتفتيت الأمة العربية إلى دويلات طائفية ومذهبية تسهل عندها السيطرة عليها على قاعدة: «فرِّق تسد»، وأن يتم اختراق الاقتصاد والثقافة ليكون العدو المغتصب مقبولاً في نسيج المنطقة.

إن قادة العدو الحاليين لم يوفروا فرصة إلا وأكدوا فيها أطماعهم، ورفضهم الإقرار بأي حق لفلسطين، وها هو شمعون بيريز يقول:

«وتعبير فلسطين يدل على مكان وليس على شعب، والدولة الفلسطينية في الواقع لم يكن لها وجود في يوم من الأيام»، ويكمل بيريز قائلاً بلغة التحدي: «نحن شعب ذو حزم وما من قوة على وجه البسيطة تستطيع أن تحملنا على مغادرة هذه الأرض».

وإن بيريز، الذي يتمسك مع الصهاينة بالاحتلال، يرى الحل للفلسطينيين بالتوطين حيث هم، وذلك لتذويب الشخصية الوطنية الفلسطينية، وهكذا يستقر الأمر للعدو حيث لا يبقى من يطالب بفلسطين كما يتوهمون. ففلسطين لأهلها ولكل عربي، والتوطين مرفوض، لأن الحفاظ على الشخصية الوطنية الفلسطينية عماد مشروع تحرير الأرض والمقدسات. ومن ذلك قوله: «واستيعاب اللاجئين الذين يعيشون في لبنان والراغبين في الانتقال إلى الكونفدرالية (يقصد بها الكونفدرالية الأردنية ـ الفلسطينية)، سوف يؤدي إلى استقرار الوضع الداخلي في لبنان، ويسهم في الاستقرار العام في المنطقة». وشمعون بيريز يرفض إقامة دولة فلسطينية حتى لو كان ذلك على جزء من فلسطين، فيقول: «وفي أعين الإسرائيليين، فإن خريطة بلادهم غير طبيعية، الأمر الذي يرفضون معه إقامة الدولة الفلسطينية لأسباب أمنية حتى وإن كانت الدولة المفترضة ستكون منزوعة السلاح». إنه يرفض دولة فلسطينية منزوعة السلاح، ويتمسك باغتصاب الأرض والمقدسات. فأي سلام يتحدثون عنه يا ترى، إذن؟!.

إن شمعون بيريز يرسم مشروعه على أساس السيطرة على

مقدرات الأمة العربية من خلال شراكة عالمية يوزع فيها الأدوار، وكأن الأمة تركة لوارثين. ويقول إنه عقد محادثات توصلت إلى ما يلي حسب زعمه: «وكنتيجة لذلك فقد بدأت الشركات الأوروبية الرئيسة في تطوير خطط لتوسيع النشاط التجاري في الشرق الأوسط، كما وبدأ البنك الدولي نشاطه حيث تمَّ وضع الأسس اللازمة لأنشطة مختلفة، وفي حين عرض اليابانيون تولي أمر القطاع السياحي اختار الفرنسيون والألمان قطاعي النقل والمواصلات، والإيطاليون المشروع المحتمل لقناة البحرين الميِّت والأحمر، والنمساويون قطاع الكهرباء والمياه، أما البريطانيون فوقع اختيارهم على قطاع التجارة الحرَّة، والدانماركيون قطاع الزراعة، والأمريكيون المصادر البشرية، والكنديون قطاع اللاجئين». هذا هو مشروع بيريز، إنه اجتياح شامل لكل مقدرات الأمة، وهو بديل توسعي من الاجتياح العسكري ـ البشري الذي لا يقوون عليه.

وبنيامين نتنياهو يرفض، هو الآخر، قيام دولة فلسطينية، ويقول: «إن دولة فلسطينية، مثلها مثل اليد الممدودة لخنق شريان الحياة لإسرائيل الممتد على طول ساحل البحر من حيفا وحتى أشكلون، لذا فليس من الغريب أن تجد معظم الإسرائيليين يرفضون هذه الفكرة، ويرون فيها خطراً مميتاً للدولة».

ويتابع نتنياهو بيريز في إنكار وجود فلسطين حيث يقول: «إن اسم فلسطين نفسه لم يعد مستعملاً بين العرب، البريطانيون

هم الذين أحيوه، ومنهم صادره العرب لأنفسهم. . . لم يكن هناك شعب فلسطيني ذو وعي قومي أو هوية قومية، أو حتى مصالح قومية مشتركة؛ ومثلما لم تكن هناك دولة فلسطينية، لم يكن هناك شعب فلسطيني». إن من يصرح بمثل هذه المواقف يبيِّن فلسفته العنصرية في إلغاء الآخر.

ويحدد نتنياهو موقفه من التعاطي مع العرب الذي يقوم على القوة والعنف، ويقول حول هذا الموضوع: «لا أمن باستثناء الأمن الذي يعتمد على ردع المعتدي، وهذا هو السلام الوحيد الممكن تحقيقه حالياً بين إسرائيل والعرب، سلام مسلَّح وحذر، يوفِّر لإسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن استئناف الحرب».

هذا هو منطق صهاينة العصر، ولذلك لن يفيد، في مواجهتهم؛ سوى رصِّ الصف العربي مع حماية الوحدة الوطنية، والإعداد الكامل والشامل، وتواصل المواجهة في داخل الأرض المحتلة، وفي أي موقع، تمهيداً لتفكيك هذا الكيان العدواني الإسرائيلي الغريب، ورجوع كل صهيوني إلى موطنه الأصلي أو الذي جاء منه آباؤه، كما حصل يوم تفكيك دولة اللاتين التي أقامها الفرنجة فيما سمِّي الحروب الصليبية، حيث عاد بعد ذلك الحق لأصحابه.

يهود/ الصهاينة المغتصبون واجب قتالهم لتحرير الأرض والمقدسات على قاعدة الآية الكريمة: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة/ ١٩١] فلا مفرَّ بذلك من اعتماد

قاعدة «ما أُخذ بالقوة لا يُسترد بغير القوة».

المرأة في الشريعة اليهودية

إن نظام الأسرة في اليهودية يقوم على نظام ذكوري يضع المرأة في حالة دونية لأنها مسبِّبة الخطيئة ومصدرها، فقد كتبوا في سفر التكوين: «وكانت الحيَّة أحيل جميع حيوان البرية الذي صنعه الرب الإله، فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة. فقالت المرأة للحيَّة: من ثمر شجر الجنّة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا. فقالت الحية للمرأة: لن تموتا. . . وإن الشجرة منية للعقل، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل». وفي نص آخر: «فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت».

ويهود يتطيرون من المرأة أثناء مدة الحيض، وعندهم أن كل ما تمسه أثناءه يكون دنساً. فقد ورد في سفر اللاويين: «وأي امرأة كان بها سيلان، بأن يسيل دم من جسدها، فلتُقم سبعة أيام في طمثها، وكل من لمسها يكون نجساً إلى المغيب. وجميع ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجساً، وجميع ما تجلس عليه يكون نجساً، وكل من لمس مضجعها يغسل ثيابه ويرتحض بالماء ويكون نجساً إلى المغيب، ومن لمس شيئاً مما تجلس عليه يغسل ثيابه ويرتحض بالماء ويكون نجساً إلى المغيب».

وفي إطار التمييز بين الذكر والأنثى والنظرة الدونية للمرأة،

نجدهم يميِّزون في النفاس ومدته بين حالتي وضع ذكر أو أنثى، فيقولون: «وكلم الرب موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيل وقل لهم أية امرأة حبلت فولدت ذكراً فلتكن نجسة سبعة أيام كحكم أيام طمثها يكون حكم نجاستها. . . وثلاثة وثلاثون يوماً تقيم في دم تطهيرها لا تلامس شيئاً من الأقداس ولا تدخل القدس حتى تُتم أيام تطهيرها، فإن ولدت أنثى فلتكن نجسة أسبوعين كحكم طمثها وستة وستين يوماً تقيم في دم التطهير».

وشريعة يهود تبيح تعدد الزوجات كما تبيح الطلاق. فقد ورد في سفر الخروج: «وإن تزوج بأخرى فلا يُنقصها من طعامها وكسوتها وأوقاتها»، وفي سفر التثنية: «إذا اتخذ رجل امرأة وصار لها بعلاً ثم لم تحظ عنده لعيب أنكره عليها فليكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته».

وتأمر الشريعة اليهودية وتوجه إلى ضرورة الزواج بالعذراء والبكر، وبتجنب الزواج من الثيب، مطلقة كانت أم أرملة. ففي سفر اللاويين: «وبكراً من النساء فليتخذ. وأما الأرملة أو المطلقة أو المبذولة أو الفاجرة فتلك لا يتخذها، بل امرأة بكراً من قومه فليتخذ».

وقد نهت الشريعة اليهودية عن الزواج من مجموعة كبيرة من النساء لأنهن من محارم الرجل، وقد حدد النص التالي هؤلاء النسوة المحرم الزواج منهن على الشكل التالي: «لا يقترب أي رجل من ذات قرابته لكشف عورتها: أنا الرب، عورة أبيك

وعورة أمك لا تكشف، إنها أمك فلا تكشف عورتها. وعورة زوج أبيك لا تكشف، فإنها عورة أبيك. وعورة أختك، ابنة أبيك كانت أو ابنة أمك، مولودة في البيت كانت أو في خارجه، لا تكشف. وعورة بنت ابنك أو بنت ابنتك لا تكشف، فإنها عورتك. وعورة بنت زوجة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف، إنها أختك فلا تكشف عورتها. وعورة أخت أبيك لا تكشف فإنها ذات قرابةٍ لأبيك. وعورة أخت أمك لا تكشف، فإنها ذات قرابة لأمك. وعورة عمك لا تكشف وإلى امرأته لا تقترب فإنها عمتك. وعورة كنتك لا تكشف، إنها زوجة ابنك فلا تكشف عورتها. وعورة زوجة أخيك لا تكشف، فإنها عورة أخيك. وعورة امرأة أبيك وابنتها لا تكشف، ولا تتخذ ابنة ابنها ولا ابنة ابنتها لتكشف عورتها، فهن ذوات قرابتك: إنها فاحشة. وامرأة مع أختها لا تتخذ لتكون ضرتها فتكشف عورتها معها وهي حية».
إنها قائمة من المحارم اللواتي لا يجوز للمرء أن يتزوج منهن.

ومن شريعتهم في الزواج أن الأخ إذا مات ولم ينجب فتصير زوجته لأخيه ليكون له نسل بعده من أخيه. فقد ورد في سفر التثنية: «إذا قام أخوان معاً، ثم مات أحدهما وليس له عقب فلا تصير زوجة الميت إلى خارج لرجل أجنبي، بل أخوه يدخل عليها ويتخذها زوجة له، ويقيم عقباً لأخيه، ويكون البكر الذي تلده منه هو الذي يخلف اسم أخيه الميت فلا يندرس اسمه من إسرائيل».

إلا أن يهود لا يرون مانعاً من استخدام المرأة وهتك كرامتها

تحقيقاً لهدف سياسي، ومن الأمثلة المؤكدة لذلك «سفر أستير». إن أحشويروش، ملك الفرس، الذي وافق على قرار وزيره بنشر يهود لما هم عليه من الرذائل والفتنة كان قد طلق زوجته، وأتت بنات عائلته إليه يستعرضهن ليختار زوجة، وإذا بمردخاي يأمر الحسناء أستير اليتيمة التي رباها أن تدخل بينهن وتقدم نفسها لأحشويروش مقابل أن يعفو عن قومها، وكان لها ذلك. فكانت كرامتها وكان عرضها مقابل قرار سياسي، وكان القرار أن علَّق الملك الفارسي هامان وزيره على الخشبة مصلوباً مع أفراد عائلته، وأعاد الاعتبار ليهود بناء لطلب أستير في سائر مناطق مملكته. هذا هو ديدن يهود، إنهم يستخدمون نساءهم خدمة لأهدافهم السياسية والمادية.

من **أخلاق يهود**: إن يهود يعتمدون الرذائل أساساً في مسلكهم، ولا مكان للقيم أو لحقوق الإنسان في نصوصهم أو تصرفاتهم. إنهم الشعب المختار كما يزعمون، وبناء على ذلك يكون كل ما يخص سواهم مستباحاً. يقولون في سفر التكوين: «لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض».

أما التلمود فإنه محمل بالنصوص التي تكيل أبشع الأوصاف لكل من هو غير يهودي. من هذه النصوص قولهم: «الخارج عن دين يهود حيوان على العموم، فسمِّه كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان... وخلق الله

الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة يهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية».

وتوجه نصوصهم إلى ضرورة إبادة كل من يستشعرون فيه روح المقاومة لأطماعهم، فقد جاء في سفر العدد: «وإن لم تطردوا أهل الأرض من وجهكم كان من تبقونه منهم كإبرة في عيونكم، وكحربة في جنوبكم يضايقونكم في الأرض التي أنتم مقيمون بها».

إن فكرهم العدواني تضج به نصوصهم، ويصل بهم الأمر إلى درجة العمل للإبادة. ورد في سفر التثنية: «وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً، فلا تستبقِ منها نسمة، بل أبسلهم إبسالاً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزّيين والحُويين واليبوسيين».

والغدر بعد العنف يأتي في جملة الأخلاقية اليهودية، والنصوص التي تدل على ذلك كثيرة، منها نص يتعلق بزواج شكيم من ابنة يعقوب، وبعدعهد الأمان وفق شروطها وضعها يعقوب، نرى حالة غدر قد اعتمد ضد القوم، فقد جاء في سفر التكوين: «إن هؤلاء القوم مسالمون لنا فيقيمون بالبلد ويتَّجرون فيه، والأرض واسعة الأطراف أمامهم، فنتخذ بناتهم أزواجاً وتعطيهم بناتنا... وكان في اليوم الثالث وهم متألمون أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه ودخلا المدينة آمنين فقتلا كل ذكر. وحمور وشكيم ابنه قتلاهما بحد السيف».

ومن مفاسد الأخلاق عند يهود التجسس التي يبررونها، ولا يرون مانعاً من اعتمادها. ففي نص من سفر العدد مؤلف من خمس آيات نجد كلمة تجسس قد وردت ست مرات، النص جاء فيه: «هذه أسماء الرجال الذين بعثهم موسى ليجسُّوا الأرض وسمَّى موسى هوشع بن نون يوشع، وأرسلهم موسى ليجسُّوا أرض كنعان وقال لهم: اطلعوا من هناك من الجنوب واصعدوا الجبل. . . فصعدوا واجتسُّوا الأرض من برية صين إلى رحوب عند مدخل حماة. . . ورجعوا من جسِّ الأرض بعد أربعين يوماً. . . وشنعوا، عند بني إسرائيل، على الأرض التي تجسسوها وقالوا: الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل أهلها وجميع الشعب الذين رأيناهم فيها أناس طوال القامات».

ومن مفاسد أخلاقهم الجشع وحب المال والماديات دون نظر إلى المصدر. مما جاء عندهم في سفر نبوءة أرميا: «أما أنت فإنما عيناك وقلبك على السِّحت وسفك الدم الزَّكي والظلم والضغط».

وفي سفر نبوءة ميخا يقولون: «اسمعوا هذا يا رؤساء آل يعقوب وحكام آل إسرائيل الذين يمقتون العدل ويعوِّجون كل استقامة. الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالإثم، إنما رؤساؤها يحكمون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالأجرة».

هذا نزر قليل من صور المفاسد الأخلاقية عند يهود، وهذا كافٍ لإعطاء فكرة عنهم.

الفصل الثاني

المسيحية

المسيح والجدل حول طبيعته

في العام الرابع قبل التأريخ الميلادي المعتمد كانت ولادة يسوع، أو عيسى أو المسيح عليه السلام من مريم العذراء عليها السلام، وكان الحمل وكانت الولادة معجزة.

النصوص في العهد الجديد استخدمت الاسم الأول «يسوع»، وفي النص القرآني ورد الثاني «عيسى» والثالث المسيح، وفي العهد الجديد، خاصة الرسائل، أصبحت كلمة المسيح اسم علم بعد أن كانت اسم جنس، وبات الاسم مخصوصاً بالمسيح عليه السلام.

والمسيح، أو الممسوح، جاءت من الطقس المستخدم قبل عيسى عليه السلام، حيث كان المسح بالزيت لعموم البدن شأناً دينياً يعبِّر عن الفرح والتبجيل، بعد المسح بالزيت كان المسح بالقدرة الرسولية من الله تعالى، وقد ورد ذلك في سفر «أعمال الرسل» من العهد الجديد كما يلي: «وأنتم تعلمون الأمر الذي

جرى في اليهودية كلها، وكان بدؤه في الجليل بعد المعمودية التي نادى بها يوحنا، وفي شأن يسوع الناصري كيف أن الله **مسحه بالروح القدس والقدرة** . فمضى من مكان إلى آخر يعمل الخير ويبرىء جميع الذين استولى عليهم إبليس» .

إن هذه المسحة الإلهية للمسيح أعطته قدرة رسولية متميزة من أجل مقاومة الشيطان (إبليس)، وتعطيل مفاعيل فتنته في الناس، ويتحقق ذلك من خلال دعوتهم إلى الإيمان وطاعة الخالق سبحانه .

إن المسيح، حسب العقيدة المسيحية، هو الثاني في الأقانيم الثلاثة التي آمنت بها، وهي: الآب والابن والروح القدس .

والأقنوم ليس عنصراً ولا جزءاً بل هو ظهور، «وهكذا نلنا أعظم وأكمل إعلان عن الله لأن «لا أحد يعرف الآب إلا الابن»، والابن نفسه حدّثنا عن الآب وعن نفسه وعن الروح»، كما جاء في كتاب: مدخل إلى العقيدة المسيحية، لمؤلفه كوستي بندلي وآخرين .

وإذا كانت مسألة طبيعة السيِّد المسيح قد أثارت نقاشاً طويلاً لم تكتمل فصوله حتى الآن، ومن أجل ذلك توالى انعقاد المجامع المسكونية، وحصلت الانشقاقات المذهبية، فإن هذا الأمر أخَّر القول بألوهية المسيح وأنه الابن، وكان له إشكاليته كذلك بين المسيحيين والمسلمين، حيث تناول النص القرآني بعض هذه المواقف منكراً على أصحابها ما يقولون .

لقد بدأ التنوع في المواقف منذ أواخر القرن الأول للميلاد، يوم انفرد يوحنا، من خلال إنجيله، متحدثاً عن طبيعة لاهوتية للمسيح بخلاف ما كان في الأناجيل الثلاثة الأخرى: متى ولوقا ومرقس.

لقد قام أول جدال حادٍ حول طبيعة السيد المسيح في الإسكندرية مع مطلع القرن الرابع للميلاد بين اثنين من الأساقفة هما: آريوس وأثناسيوس، وكان آريوس (ت ٣٣٦ م) يقول: «إن كلمة الله ليست أزلية بل مخلوقة في الزمن، خلقها الله قبل خلق العالم»، وقال: «إن المتجسد في يسوع ليس الكلمة الأزلية غير المخلوقة، بل مخلوق من المخلوقات». وقال ابن حزم في هذا الموضوع: «والنصارى فرق؛ منهم أصحاب آريوس، وكان قسيساً بالإسكندرية، ومن قوله: التوحيد المجدد، وإن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وإنه كلمة الله تعالى بها خلق السموات والأرض».

أما أثناسيوس (ت ٣٧٣ م) فيقول: إن كلمة الله تجسدت واستقرت في الإنسان يسوع، ولكنه اختلف مع آريوس في أمر طبيعة الكلمة، فقد اعتبر أثناسيوس أن الكلمة التي تجسدت في يسوع هي أزلية، وغير مخلوقة، وكائنة مع الله منذ البدء.

هذه الاختلافات حدت قسطنطين الثاني، الأمبراطور الذي تنصر، وبتشجيع من الأساقفة، إلى الدعوة لمجمع مسكوني هو مجمع نيقية، وهي «إزْنك» في تركيا حالياً، لحسم هذا الأمر.

ولنأخذ موقفين من الكنائس المعاصرة لنعرف ما آل إليه أمر هذا الموضوع. الموقف الأول كاثوليكي، ورد في كتاب: «المسيحية في عقائدها»، وسأترك النص بحرفيته كما ورد على الشكل التالي: «إن كرازة يسوع المليئة بالقدرة والجذّابة والجديدة في الكثير منها، وسيرته المثيرة للإعجاب، ولا سيما صنعه العجائب، كل ذلك قاد الناس قديماً ويقودنا اليوم إلى السؤال: من هو هذا؟... يسوع هو إنسان، إنسان حقيقي على غرارنا جميعاً. وتصفه الأناجيل في كل إنسانيته: فقد ولد من أمٍ بشرية، ونما وكبر، وتعلَّم صنعة، ونراه يجوع ويعطش، ويُجرِّب، ويتعب، ويطرح أسئلة، ويشعر بالأسى فيشارك سائر الناس أحزانهم وأفراحهم، ويُسرُّ بنوع خاص بالأطفال، ولكنه أيضاً يغضب لقساوة قلوب الناس... إنه إنسان بجسد ونفس... أن يكون يسوع إنساناً حقيقياً يساوي في الأهمية، في نظر إيمان العهد الجديد والكنيسة، الإيمان بأن المسيح إله حقيقي... أن يكون يسوع، ابن الله، في الوقت عينه إنساناً حقيقياً تاماً، ليس إذن حقيقة واقعية وحسب، بل حقيقة خلاصية، فلأن الله دخل جسدياً في لحمنا ودمنا البشريين افتدانا أيضاً في بشريتنا... ومن ثمَّ فالخلاص والفداء ليسا خلاصاً روحياً للنفس وحسب، ولكنهما يهدفان إلى خلاص الإنسان في كل كيانه». وفي إنجيل يوحنا: «ولكلمة صار جسداً، وسكن في ما بيننا».

إن المسيح ـ وفق العقيدة المسيحية ـ جاء فادياً ومخلصاً

للبشرية، لأن الخطيئة التي وقع فيها الإنسان، مع آدم وحواء في الجنة، كانت ماضية في بني البشر حتى كان الفداء مع المسيح. وهذا الفداء في المسيحية بات يرتبط بالصليب بعد المسيح. جاء في معجم اللاهوت الكتابي: «لقد مات يسوع مصلوباً، فأصبح الصليب، الذي كان أداة للفداء مع الموت، والألم، والدم، أحد الأركان الأساسية التي تساعد على تذكيرنا بخلاصنا. . . وفي رواية يوحنا للآلام، يبدو يسوع وكأنه يتقدم لملاقاة آلامه بعظمة وعزة، إنه يصعد على الصليب منتصراً، لأنه بالآلام يؤسس كنيسته لافظاً الروح».

عند هذه المسألة تبدأ إشكالية بين العقيدة المسيحية بالصلب وما جاء في النص القرآني وفيه أن من صلبوه قد شُبِّه لهم أنه المسيح. قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٥٧، ١٥٨].

إن النص القرآني جاء في إطار الرد على مزاعم يهود وعدوانيتهم ضد الأنبياء والرسل جميعاً، ومن أجل التأكيد بأن الله تعالى قد رفع المسيح عليه السلام إليه، ولم ينل منه أعداء الله وأعداء الرسل.

أما حمل مريم بالمسيح عليهما السلام فإنه بقدرة الله تعالى وبأمره وهو إعجاز فيه خرق لسنة الحمل عند النساء، جاء في

النص القرآني : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم/ ١٢].

والمسيح مؤيد من الله تعالى، كما جاء في الآية القرآنية: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة/ ٨٧]. وقد قال القرطبي في تفسيره حول هذه الآية: «أي الحجج والدلالات... وأيدناه؛ أي قويناه... قال النحاس: وسمِّي جبريل روحاً وأضيف إلى القدس؛ لأنه كان بتكوين الله عزَّ وجلَّ له روحاً من غير ولادة والد ولده؛ وكذلك سمِّي عيسى روحاً لهذا... وروى أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس: «بروح القدس» قال: هو الاسم الذي كان يحيي به عيسى الموتى؛ وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير، وهو اسم الله الأعظم».

وجاء في النص القرآني ما يبيِّن بأن القول بأن المسيح هو الله، أو أنه واحد من ثلاثة معبودين كفر، ففي سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٧٢، ٧٣].

يرد مؤلفو كتاب «مدخل إلى العقيدة المسيحية» قائلين: «إذا

قلنا إن الله مثلث الأقانيم، وإذا قلنا إنه واحد في الجوهر فهذا ليس معناه، على الإطلاق، أنه هو ثلاثة أو أنه هو واحد، ليس هو ثلاثة بمعنى العدد، العدد لا علاقة له بالله، لا يستطيع الإنسان إلا أن يعدَّ المحسوسات، الله لا يُعد لأن من عدَّه فقد مدَّه... عندما يقولون عنا إن عندنا ثلاثة آلهة، لأننا نقول: واحد وثانٍ وثالث... فالجواب على ذلك إننا لا نعد الله ثلاثة».

ويكملون القول: «الإله الواحد الأحد لا يُحدُّ. الواحد، تعني في العربية، واحداً بالعدد، والأحد تعني الذي ليس بعده ثانٍ، هذا في العربية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص/١ - ٤]، هذه آية من سورة الإخلاص وليست هي، في الحقيقة، موجهة ضد المسيحيين، ليس معناها أنها تنكر الابن والروح القدس. إذا أخذناها نصاً فقط وليس بمدلولها القرآني، يمكننا القول، من حيث النص، إن الإله الأحد أي المنغلق على نفسه، المحدود بأحديته، هذا الإله لا يلد ولا يولد... هذا الإله هو الآب، وهو مصدر الوجود الإلهي، أي مصدر اللاهوت، مصدر الألوهة... الابن صدر عن الآب، والروح القدس صدر عن الآب، الابن بالولادة والروح القدس بالانبثاق، وما يجمعهم هو الجوهر الواحد».

ويكمل مؤلفو كتاب: «مدخل إلى العقيدة المسيحية» مبيِّنين أن ما تعرَّض له القرآن الكريم هو حالات قليلة، والمسيحية لا

تقول بها حيث يقولون: «إن الآيات القرآنية التي تبدو في ظاهرها ضد الثالوث هي بلا غرض. . . إنها ضد التثليث العربي الذي شاع في شوارع الحجاز واليمن حيث نُسب للمسيحيين القول إن المسيح ثالث ثلاثة، أي أن هناك ثلاثة آلهة والمسيح ثالثهم، لهذا جاء في القرآن: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة/ ٧٣]. هذا الكلام ليس ضد التثليث الأرثوذكسي. وجاء أيضاً في القرآن: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام/ ١٠١]، في حين أن المسيحيين لم يقولوا قط إن الله الآب اتصل جنسياً بمريم حتى استولدها المسيح. . . وجاء ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء/ ١١١]. هذه نظرية التبني. . . نحن لم نقل هذا، قلنا إن المسيح كان ابن الله، وبعدئذ جعله الله إنساناً، أي إننا قلنا بعكس نظرية التبني، وهذا يعني أنه في شوارع مكة والمدينة واليمن، **كانت تسري آراء عن الثالوث الأقدس ليست لها أية علاقة بالأرثوذكسية ويدحضها القرآن وندحضها معه ودحضها الآباء معه قبل ظهوره**».

بهذه الطريقة الحوارية عمل معاصرون أرثوذكسيون على توضيح المسألة بالنسبة لطبيعة المسيح والثالوث، خاصة في إطار الموقف مما ورد في النصوص القرآنية.

ويقول المطران جورج خضر في الباب عينه ما يلي: «وإذا قالت سورة الإخلاص عن الله إنه لم يلد ولم يولد، فالمسيحية تقول إن الله، من حيث هو جوهر إلهي، لا يتجزأ ولا يلد ولا

يولد من سواه. . . فيكون أن الثالوث الذي يرفضه القرآن هو غير الثالوث الذي تقول به الكنيسة، ونرى أنفسنا بالتالي في حرب لا مسوغ لها».

العقيدة في المسيحية

إن العقيدة المسيحية في الألوهية والتوحيد أخذت مساحات من الجدل والخلاف، وعاش هذا الخلاف قروناً، وحصلت الانقسامات في الكنيسة، غالباً، بتأثير تنوع الأفهام حول التوحيد والأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، وكان السبب الذي ولّد اللبس والتشويش هو كيفية التوفيق والربط بين الوحدانية وبين الظهورات في الأقانيم.

بعد دراسات، توصل كتاب «قاموس الكتاب المقدس» إلى القول بأن كلمة تثليث لم تكن معروفة في السنوات الأولى من عمر المسيحية. جاء في «قاموس الكتاب المقدس»: «والكلمة نفسها، التثليث أو الثالوث، لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد». ترتليان (١٦٠ م ـ ٢٤٠ م) اعتنق المسيحية في روما في العام ١٩٠م، وقد «سمِّي بحق أبا الفكر اللاهوتي اللاتيني لأنه كان المفكر الرئيسي الذي صاغ المصطلحات والتعبيرات التي سادت في الكنيسة الغربية. . . وخير مثال على ذلك مصطلحات (سر Sacrumentum) ـ (الثالوث Trinitaire) ـ (الجوهر Substantia)».

وتوالت بعدها المواقف والآراء، وأخذت حالة التنازع وتبادل التهم بالرواج، وقاموس الكتاب المقدس جاء يسقط أحكام ما بعد مجمع نيقية على ما قبله حيث يقول: «ثم ظهر سبيليوس ببدعته في منتصف القرن الثالث، وحاول أن يفسر العقيدة بالقول: إن التثليث ليس أمراً حقيقياً في الله لكنه مجرد إعلان خارجي، فهو حادث»، ويكمل قائلاً: «ثمَّ ظهرت بدعة آريوس الذي نادى بأن الآب وحده هو الأزلي بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة».

و «دائرة المعارف الكتابية» تذهب في بيان ذلك المذهب نفسه فتقول، تحت مادة ثالوث، ما يلي: «لم ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدس، حيث لا يذكر الكتاب المقدس هذا اللفظ بالذات تعبيراً عن مفهوم أنه ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي، وأن في وحدانية الله ثلاثة أقانيم هم واحد في الجوهر، متساوون في الأزلية والقدرة والمجد، لكنهم متمايزون في الشخصية. . . لا يمكن إثبات عقيدة الثالوث بالعقل لأنها تسمو عن إدراك العقل. . . فالثالوث الأقدس فريد لا مثيل له في الكون كله، وعليه فليس ثمة ما يعيننا على فهمه. . . ويكفينا أن نلاحظ أنه في العهد الجديد لا يوجد سوى الله الحي الحقيقي الواحد الوحيد. . . وأن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم متميزون». وفي نصوص العهد الجديد ورد، عند متى في إنجيله، نص يربط التثليث بالمعمودية، وعليه كان مبنى ما أقر

على أساسه المجمع المسكوني في نيقية دستور الإيمان. صيغة هذا النص هي: «إذهبوا وتلمذوا الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس». (متى ٢٨: ١٩).

إذا عدنا إلى واحد من علماء المسيحية في القرن الثامن الميلادي، هو منصور بن سرجون الذي اشتهر باسم يوحنا الدمشقي، فإنه يذهب باتجاه الحديث عن الله تعالى الواحد المنزه عن المثل وعن الكثرة، وفي فقرة عنوانها: «إيضاح منطقي بأن الله واحد»، يقول: «إن الإله كامل، وهو ليس ناقصاً البتة في صلاحه وفي حكمته وفي قوته، وهو لا بدء له ولا نهاية، أزليٌّ، غير محدود. وبالاختصار، هو كامل في كل صفاته، وعليه إذا قلنا بآلهة كثيرين، فوجب أن نرى تبايناً في كثرتهم. لأننا إذا لم نر تبايناً فيهم، فهم بالأحرى واحد لا كثرة. فمن كان ناقص الكمال في صلاحه أو في قوته أو في حكمته أو في الزمان أو في المكان، فلا يكون إلهاً. ووحدة الهوية في كل الصفات إنما تشير بالأحرى إلى واحد، لا إلى كثرة».

ويقول يوحنا الدمشقي في فقرة عنوانها: «إيضاح منطقي في الكلمة ابن الله»: «مقابلة بين كلمة الله والكلمة البشرية: ومن ثمَّ إن الله الواحد الأحد ليس بخالٍ من كلمة، وبما أن الله له كلمته فهي ليست بخاليةٍ من أقنوم. أما وجود الكلمة فهو لا بدء له ولا نهاية، فلم يكن زمن إذاً حيث لم يكن الله الكلمة. وأن الله له كلمته مولودة منه دائماً، فهي ليست لا أقنومية على

مثال كلمتنا التي تتبدد في الهواء».

ويقول يوحنا الدمشقي في فقرة عنوانها: «إيضاح منطقي في الروح القدس»: «مقابلة بين الروح الإلهي والروح البشري: ويجب أيضاً أن يكون للكلمة روح، فإن كلمتنا أيضاً لا تخلو من الروح. لكن الروح عندنا غريب عن جوهرنا... وينبغي الاعتراف اعترافاً تقياً بوجود روح الله أيضاً في طبيعته الإلهية البسيطة وغير المركبة».

ويختم قائلاً: «وعلى هذا النحو، فبالوحدة في الطبيعة الإلهية يزول ضلال كثرة الآلهة»؛ «أما الكيفية في الولادة والانبثاق فتظل غير مدركة»، «ونقول أيضاً إن كلاً من الأقانيم الثلاثة هو في الآخر، لئلا نصير إلى كثرة وجمهرة من الآلهة». بهذه الطريقة فسَّر يوحنا الدمشقي دستور الإيمان النيقاوي.

إن دستور الإيمان النيقاوي هو المحطة الأساسية فيما عليه العقيدة المسيحية في أمر التثليث والأقانيم الثلاثة.

كان مجمع نيقية المنعقد في ٢٠ مايو/أيار من العام ٣٢٥ م أول مجمع مسكوني مهم بشموليته في التمثيل وبموضوعه، وكان انعقاده بدعوة من الأمبراطور قسطنطين الثاني الذي تنصَّر ومال إلى رفض ما قاله آريوس من أن المسيح غير مساوٍ للآب في الجوهر، وأن ذلك بدعة تجب مواجهتها، وقد حضره ٣١٨ أسقفاً وعدد من القساوسة والشمامسة، وبعد مداولات صدر ما عُرِف باسم دستور الإيمان النيقاوي، وصيغته هي:

«نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل الدهور: إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسَّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وصار إنساناً، وصُلب عنّا على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقبر، وقام في اليوم الثالث، كما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الرب، وأيضاً يأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه، ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الآب والابن، الذي هو مع الآب والابن، مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة، جامعة، رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر الآتي، آمين» (عند الأرثوذكس الروح القدس المنبثق من الآب فقط).

أما الأريوسيون، فكما قال چون لوريمر، فقد تساءلوا: «كيف يمكن للمسيح أن يكون إلهاً كاملاً إذا جاع أو عطش أو تعب أو بكى عند قبر لعازر واهتز لتوقع موته؟. هذه الإنسانية في رأيهم، أنقصت وحطت من قدر صلاح المسيح وهكذا جعلته غير مساوٍ لله الآب».

ومجمع نيقية لم يحسم الجدل حول طبيعة السيد المسيح، بل كان بعده عام ٤٣١م مجمع أفسس لشجب تعاليم نسطوريوس (ت٤٥١م) الذي قال: إن يسوع كان في الواقع شخصين، شخصاً إلهياً وشخصاً بشرياً، فالثاني ولدته مريم والأول هو كلمة الله الأزلية، ولا يزال الكلدان الكاثوليك على هذه العقيدة.

وبعده كان مجمع خلقيدونيا في العام ٤٥١ م، وخلقيدونيا هي اليوم «قاضي كوي» في تركيا، وانعقد المجمع لنبذ تعاليم أوطيخا القائل بأن المسيح أقنوم واحد وليس له طبيعة بشرية بل طبيعة إلهية، وعُرف أتباعه بالمونوفيزيين، وقد رفض مجمع خلقيدونيا ما قاله أوطيخا وأقر ما جاء في دستور الإيمان النيقاوي، واعتبر مقولاته بدعة، ولا يزال السريان الأرثوذكس من المؤمنين بما جاء به أوطيخا.

إذن، رغم إقرار دستور الإيمان النيقاوي بقيت حية مفاهيم عقدية أخرى مسيحية حتى يومنا هذا حيث لها كنائسها وأتباعها وحضورها.

العهد الجديد

هو القسم من الكتاب المقدس المعتمد مسيحياً، ويتكون من الأناجيل الأربعة القانونية، كما تسمى، مضافاً إليها الرسائل وعددها ٢٣ رسالة، وبذلك يكون العهد الجديد مكوناً من ٢٧ سفراً.

وكلمة إنجيل تعني «البشرى السارة»، والكنيسة مع القرن الثاني الميلادي قبلت أربعة أناجيل على أنها قانونية هي:

١ ـ **إنجيل متى**: متى هو أحد الإثني عشر، وكتب إنجيله مرتباً حسب الموضوعات، وتختلف المواقف في تاريخ تدوينه، فمنها ما يقول إنه دُوِّن في أربعينات القرن الأول للميلاد؛ والغالبية أنه قد تم تدوينه ما بين سنة ٦٠م و٧٠م، ومثله إنجيل مرقس وإنجيل لوقا، وهو من ٢٨ إصحاحاً.

٢ ـ **إنجيل مرقس**: الثاني في ترتيب الأناجيل بعد متى، وهو أقصر الأناجيل الأربعة، ومرقس تعرَّف إلى المسيح بواسطة بطرس في آخر حياته، وقد مارس التبشير مع بولس وبرنابا نسيبه، وهو من ١٦ إصحاحاً.

٣ ـ **إنجيل لوقا**: لوقا صديق بولس، وقد رافقه في رحلته إلى فيليبي، ولوقا مولود في أنطاكية وليس من أصل يهودي، وإنجيله الثالث، ويبدو أن لوقا كان ملماً بالثقافة اليونانية ويظهر ذلك من صياغته، وهو من ٢٤ إصحاحاً.

٤ ـ **إنجيل يوحنا**: يوحنا بن زيدي، من بيت صيدا في الجليل، من التلامذة الإثني عشر، وقد نادى بإنجيله في آسيا الصغرى، وهو الإنجيل الذي تحدث صاحبه عن لاهوت المسيح، وسر المسيح الإلهي. وهو من ٢١ إصحاحاً، وقد تمت كتابته في أواخر القرن الأول للميلاد.

أما الرسائل فهي:

٥ ـ أعمال الرسل: ٢٨ إصحاحاً.

٦ ـ رسالة بولس إلى أهل رومية: ١٦ إصحاحاً.

٧ ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ١٦ إصحاحاً.

٨ ـ رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: ١٣ إصحاحاً.

٩ ـ رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ٦ إصحاحات.

١٠ ـ رسالة بولس إلى أهل أفسس: ٦ إصحاحات.

١١ ـ رسالة بولس إلى أهل فيليبي: ٤ إصحاحات.

١٢ ـ رسالة بولس إلى أهل كولوسي: ٤ إصحاحات.

١٣ ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي: ٥ إصحاحات.

١٤ ـ رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي: ٣ إصحاحات.

١٥ ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس: ٦ إصحاحات.

١٦ ـ رسالة بولس الثانية إلى أهل تيموثاوس: ٤ إصحاحات.

١٧ ـ رسالة بولس إلى أهل تيطس: ٣ إصحاحات.

١٨ ـ رسالة بولس إلى أهل فليمون: ١ إصحاح واحد.

١٩ ـ رسالة بولس إلى العبرانيين: ١٣ إصحاحاً.

٢٠ ـ رسالة يعقوب: ٥ إصحاحات.

٢١ ـ رسالة بطرس الأولى: ٥ إصحاحات.

٢٢ ـ رسالة بطرس الثانية: ٣ إصحاحات.

٢٣ ـ رسالة يوحنا الأولى: ٥ إصحاحات.

٢٤ ـ رسالة يوحنا الثانية: ١ إصحاح واحد.

٢٥ ـ رسالة يوحنا الثالثة: ١ إصحاح واحد.

٢٦ ـ رسالة يهوذا: ١ إصحاح واحد.

٢٧ ـ رؤيا يوحنا: ٢٢ إصحاحاً.

لقد كانت الأسفار الموجودة في القرنين الأول والثاني أكثر من ذلك بكثير، ولكن الكنيسة بلورت موقفها مع الوقت، واستقرت على هذه الأسفار فقط، وجمعت باسم العهد الجديد.

وإنجيل برنابا، الذي لا يزال سفر موجود يحمل اسمه حتى يومنا هذا، لا تعترف به الكنيسة، وتشير الدراسات إلى أن هذا السفر فُقِد مع القرن الخامس للميلاد، إلى أن تمَّ العثور على نسخة منه سنة ١٧٠٩ م، عندما عثر كريمر، مستشار ملك بروسيا، على نسخة من هذا الإنجيل مكتوبة بالإيطالية وبهامشها تعليقات باللغة العربية.

وقد ذهب العلماء المسيحيون إلى أن ثمة فارقاً بين القرآن الكريم والكتاب المقدس وفيه العهد الجديد، وقد تحدث عن ذلك الآب توماس ميشال اليسوعي في كتابه: «مدخل إلى العقيدة المسيحية». وقد قال: «فالقرآن كتاب واحد، نقله بلغة واحدة رجل خلال حقبة من الزمن استمرت ٢٢ عاماً، وعلى عكس ذلك فالكتاب المقدس مجموعة من ٧٣ (٦٥) كتاباً أُلِّفت أو جُمعت بلغات مختلفة طوال فترة زمنية دامت ١٥٠٠سنة». ويكمل الآب توماس: «يعتقد المسيحيون أن أسفار الكتاب المقدس كتبها الله بواسطة مؤلفين من البشر، وعليه فإنهم يقولون بأن للأسفار المقدسة مؤلفاً إلهياً ومؤلفاً بشرياً... والمسيحيون على وجه الإجمال، لا يقولون بأن الله أملى الكتب المقدسة على المؤلف البشري، بل إنه أتاح له أن يعبِّر عن

الرسالة الإلهية بطرقه الخاصة وفنونه الأدبية الخاصة وأسلوبه الشخصي».

فالإسلام يقوم الأمر فيه على وجود رسالة هي القرآن الكريم موحى به من الله تعالى، ورسول هو محمد ﷺ، «أما نظرة المسيحيين إلى الكتاب المقدس، فهي على خلاف ذلك. وهم يرون أنه لم يتمَّ وحي الله الأكمل في كتاب، بل في إنسان. . . وعليه فهم يرون أن الكتاب المقدس يشير دوماً إلى ما هو أبعد منه، وأنه يبغي دوماً تنشئة إيماننا بالمسيح وبما يقوله الله للبشرية بواسطته وفيه، والذين كتبوا العهد الجديد كانوا أناساً حاولوا أن يبلغوا معنى اختبارهم ليسوع». وبمعنى آخر ففي المسيحية المسيح عليه السلام هو الرسالة والرسول، والأناجيل وأسفار العهد الجديد هي ما استطاع أن يعرفه كل كاتب من المسيح عليه السلام، وبهذا يبرِّر علماء المسيحية اختلاف الأناجيل والرسائل في بعض مضامينها، وإذا أردنا مقاربة المفهوم بين المسيحية والإسلام يكون العهد الجديد في موقع التفاسير للقرآن عند المسلمين.

نختم الحديث حول الموضوع بقول للأب توماس يقول فيه: «إن المسيحيين لا يدَّعون البتة أن يسوع حمل كتاباً هو الإنجيل. فيسوع في رأيهم لم ينقل وحياً على نحو ما نقل محمد القرآن في رأي المسلمين، بل يعتقد المسيحيون بأن يسوع نفسه هو تجسُّد وحي الله للبشرية، ولا يحمل رسالة، بل إنه هو الرسالة، ونتيجة

لذلك لا نبتغي إنجيلاً خطَّه يسوع بيده أو أملاه على أحد تلاميذه».

الكنائس والمذاهب المسيحية

سيلتزم البحث الحديث عن أبرز الكنائس والمذاهب المعاصرة، ولن يعود إلى الكنائس القديمة لأنها لم تعد حيَّة، وليس لها أتباع الآن على الأقل بشكل كبير وواسع الانتشار. وقبل الحديث عن هذه الكنائس تجدر الإشارة إلى أن الانشقاق الأكبر في تاريخ الكنيسة هو ذلك الذي حصل سنة ١٠٥٤م، حيث قامت الكنيسة الكاثوليكية ومركزها روما بمقابل الكنيسة الأرثوذوكسية وعاصمتها، أو مركزها، القسطنطينية (أسطمبول اليوم).

ومن عوامل الانشقاق أمر عقدي يتعلق بانبثاق الروح القدس، ففي الأرثوذوكسية الروح القدس ينبثق من الآب، بينما في الكاثوليكية ينبثق من الآب والابن.

وأبرز الكنائس هي:

١ ـ **الكنيسة الكاثوليكية**: أي الكنيسة الجامعة أو الكنيسة الغربية، مركزها الرئيسي الفاتيكان في روما بإيطاليا، ويعود تأسيسها إلى بطرس، أحد الحواريين الإثني عشر، ويلقب الصخرة.

لهذه الكنيسة رأس هو البابا المنتخب من قبل الكرادلة، وهو بمفهوم الكاثوليكية خليفة المسيح، وقراراته حاسمة في مختلف الشؤون، وإرادته لا تقبل المناقشة، وأتباع هذه الكنيسة معظمهم في الغرب اللاتيني، ومن أبرز مواقع انتشارهم: إيطاليا، إسبانيا،

فرنسا، بلجيكا، البرتغال وتنتشر في سائر القارات، ويقارب عدد أتباعها في العالم المليار نسمة.

٢ ـ **الكنيسة الأرثوذوكسية**: أي كنيسة «المستقيم الرأي»، أو الكنيسة الشرقية. بعد الانشقاق عام ١٠٥٤م باتت عاصمتها القسطنطينية (أسطمبول اليوم)، ولا يزال بطريرك أسطمبول يسمى البطريرك المسكوني. وأتباع الكنيسة الأرثوذوكسية في البلاد الغربية واليونان والبلقان وأوروبا الشرقية، وقبل الشيوعية لعبت روسيا القيصرية دوراً مهماً في مسار هذه الكنيسة، وضمن الكنيسة الأرثوذوكسية الشرقية بشكل أساسي الكنيسة القبطية والأرمنية والسريانية.

٣ ـ **الكنيسة القبطية**: كنيسة يعود تأسيسها إلى مرقس الذي تقوم كنيسة في القاهرة تحمل اسمه وقبره فيها، كما أن الكنيسة القبطية تسمى: الكرازة المرقسية، وتسمى كنيسة الإسكندرية حيث مركز كرسي الكنيسة. وتعد كنيسة شرقية أرثوذوكسية، وإن كان بعض الأقباط، وبعد التواصل مع أوروبا، قد تحول إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية. وقد تأسست بعد مجمع خلقيدونيا في العام ٤٥١ م، لذلك تعد أقدم الكنائس الأرثوذوكسية، ويترأسها «بابا».

٤ ـ **الكنيسة السريانية**: تلتقي مع الكنيسة القبطية بالقول بالطبيعة الواحدة للمسيح، ونشأتها كانت كذلك بعد مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١ م، وهي تعد كنيسة شرقية، وأتباعها في

المشرق العربي والهند وتركيا، وبعد التواصل مع أوروبا اتبع قسم من أتباعها الكاثوليكية، وهم اليوم يتبعون البابا في روما، أما الأصل فهم سريان أرثوذوكس لهم كرسي في دمشق وآخر في الهند على كل منها بطريرك.

٥ ـ **الكنيسة الأرمنية**: أعلن الملك ورطان الثاني في عام ٣٠١م المسيحية ديناً رسمياً لأرمينية، وانتخب غريغوريوس بطريركاً لهذه الكنيسة، وهي كنيسة شرقية أرثوذوكسية تلتقي مع الكنيستين القبطية والسريانية بالقول بالطبيعة الواحدة للمسيح، وقد دخلت إليها الكاثوليكية، وتوجد كنيسة الأرمن الكاثوليك، وإن كان غالبية الأرمن من الأرثوذوكس، وتسمى أحياناً الكنيسة الغريغورية نسبة لأول بطريرك لها. بعد الذي أصاب الأرمن في الحرب العالمية الأولى في أوائل القرن العشرين، اضطر قسم كبير من الأرمن إلى الهجرة خصوصاً إلى لبنان حيث يقوم الآن مركز كنيسة الأرمن بفرعيها الأرثوذوكسي والكاثوليكي.

٦ ـ **الكنيسة البروتستانتية**: حصل انشقاق كبير في الكاثوليكية في القرن السادس عشر في أوروبا قاده حنا كالفن (١٥٠٩م ـ ١٥٦٤م) ومارتن لوثر (١٤٨٣م ـ ١٥٤٦). والبروتستانتية قامت على قاعدة رفض السلطة الإكليريكية أو الكهنوتية لرجال الدين، وقاومت محاكم التفتيش ومسألة بيع صكوك الغفران، ونادت بالعودة إلى أهل الناموس، ولذلك أخذت بالعهد القديم مع العهد الجديد، والفريق المتشدد منهم يجب أن يدعى إنجيلي،

هومنهم الأنغليكانية التي أساسها في بريطانيا. والمجالس التي تدير عمل هذا المذهب هي علمانية وإكليريكية، وينكرون الرتب الدينية المعتمدة في سائر الكنائس، ويعتمدون فقط لقب «قس» للمعني بالشأن الديني. تنتشر في أوروبا وسط الكاثوليك وفي أمريكا عموماً والشمالية خصوصاً.

طقوس ومصطلحات مسيحية

إن الدارس للمسيحية لا بدَّ له من أن يعرف العبارات وطقوسها، ومن ثمَّ أن يقف عند بعض المصطلحات التي تشكل الأساسات فيها، ولهذه الغاية سنتوقف عند الأمور التالية:

١ ـ **الصلاة**: فُطر الإنسان على الاتجاه إلى الله تعالى والتقرب إليه سبحانه، وبهذا المفهوم تحدث عن الصلاة في المسيحية «قاموس الكتاب المقدس»، فالصلاة وليدة وجدان المؤمن، وهي من أجل طلب بركاته ونعمته وعونه.

والصلاة في المسيحية تؤدى جماعية أو يؤديها الفرد لوحده، وقد تقدم في الكنيسة أو البيت أو أي مكان، وتكون لأجل الآخرين كما تكون لأجل المصلي نفسه.

ويجوز في الصلاة أن يطلب المصلي ما يحتاج إليه نفسياً وجسدياً، وله أن يطلب الخبز اليومي على أن يبدأ الدعاء بأن يطلب ملكوت الله أولاً. والصلاة تكون في أوقات متعددة من النهار، وتكون للشكر عند تناول الطعام مثلاً، كما تكون صلاة

من أجل الأموات هي صلاة الجناز، وهكذا فلكل مناسبة، مفرحة أو محزنة، صلاة.

والصلاة الربانية المسيحية، وهي الأبرز، تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ **الدعاء**: وله نصوص مخصوصة هي: «أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في السماء، كذلك على الأرض، أعطنا خبزنا كفاف يومنا. واغفر لنا ذنوبنا، كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا. ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشَّر».

ب ـ **الطلبات**: والمعتمد أن تنقسم إلى نوعين وبتوازن، فتكون نصفها مختصة بملكوت الله ومشيئته، ونصفها الآخر طلبات تتعلق بحاجات الإنسان المادية والمعنوية، ولا يصح أن تكون كثيرة، والمعتدلة منها تكون في ست طلبات.

جـ ـ **التمجيد**: خاتمة هذه الصلاة، ويقال فيها: لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين.

٢ ـ **الصوم**: فريضة موجودة عند كل المؤمنين، وهي تعبير عن الطاعة لله، ويكون ذلك بالامتناع عن الطعام والشراب وسائر اللذائذ، وقد يرافق ذلك امتناع عن لون من الطعام، وكل ذلك يكون محللاً في غير الصوم. فالصوم في المسيحية يكون فيه الامتناع عن أكل اللحوم وسائر المشتقات الحيوانية.

الصوم الكبير في المسيحية هو الذي يسبق الفصح ومدته

سبعة أسابيع، وفي كل يوم يمتنع الصائم عن الأكل والشرب من منتصف الليل إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً. والكنائس الشرقية تشدد على الامتناع عن اللحوم والمشتقات الحيوانية، أما الكنائس التي تعتمد الطقس الغربي فإنها تطلب ذلك ليومين في الأسبوع أو بصيغ مختلفة. وهناك، إضافة إلى الصوم الكبير، مواسم صوم تطوعية هي صوم الميلاد ومدته ٤٠ يوماً، وصوم السيدة العذراء من أول آب (أغسطس) حتى أوسطه ومدته ١٤ يوماً، إلى صيامات تطوعية وشخصية، ومنها صوم يومين في الأسبوع هما الأربعاء والجمعة.

٣ ـ **التعميد، أو المعمودية**: فريضة مسيحية بها يصبح المرء مسيحياً، لذلك يطلق عليها اسم التنصير. وكانت الكنائس قديماً لا تعمِّد الشخص قبل البلوغ، لكن حالياً في الكنائس الغربية والشرقية يعمَّد الصغير مع شرط وجود عرّاب له يتعهد بتنشئته على المسيحية. عند الشرقيين يغطَّس المعمَّد بالماء ثلاث مرات، أما عند سواهم فيُكتفى برش الماء على الجبهة. والعماد يقوم به الكاهن، التزاماً بما جاء في إنجيل متى ويأمر بذلك، ورد في إنجيل متى: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به».

ورد في كتاب «المسيحية في عقائدها» وتحت عنوان: «سر

المعمودية» ما يلي: «لأننا بالمعمودية ننضم إلى سرٍّ يسوع المسيح الفصحيِّ، إلى موته وقيامته، علينا كمسيحيين أن نموت عن الخطيئة ونحيا لله، ومن ثم فالمعمودية هي أساس الحياة المسيحية كلها، كما هي أيضاً أساس الموت المسيحي».

في الحالات الاستثنائية يستطيع أن يقوم بالتعميد شخص غير كاهن.

٤ ـ **الأسرار**: السر، بالمفهوم المسيحي، حقيقة مقدسة، وهو فعل النعمة التي يهبها الله للإنسان وترافقه طقوس معينة، والأسرار مقياس جوهري للانضمام إلى الكنيسة وفيها معنى الخلاص، والأسرار عند الكنيسة الأرثوذوكسية لم تحدَّد، بينما جعلتها الكنيسة الغربية سبعة هي:

أ ـ **سر المعمودية**: وهو الذي يُدخِل الإنسان في الكنيسة، لذلك سُمِّي التنصير.

ب ـ **سر التثبيت**: وهو عمل في إطار تقوية سر المعمودية وإكمالها، وحسب كتاب «المسيحية في عقائدها»: «بالتثبيت يشارك المسيحيون، أي الممسوحون، مشاركة كاملة يسوع المسيح في سلطانه الملكي والكهنوتي».

جـ ـ **سر التوبة**: ويقوم على طلب المغفرة والعودة إلى تعاليم الكنيسة بعد أخطاء ارتكبها التائب، والتوبة تكون على الشكل التالي: «إدراك الذنب، الندامة عما ارتكب أو أهمل، الإقرار بالذنب، الاستعداد لتغيير الحياة».

د ـ **سر الأفخارستيا**: الاحتفال بالذبيحة التي تمت في العشاء الأخير، وهي صلاة الشكر والتسبيح على ما وهب الله المؤمنين في الخلق والخلاص، ومما تعنيه أنها الخلاص والحياة في عبادة الله وتمجيده.

هـ ـ **سر الكهنوت**: ويمنح لمن تأهل بالعلم والسلوك، وفي المسيحية: «إن سر الكهنوت يهب اشتراكاً خاصاً في وظيفة يسوع المسيح، فيسوع هو الكاهن الأعظم الوحيد والأوحد، والوسيط الوحيد بين الله والناس . . . بذلك يؤهل من ينال سر الكهنوت لأن يتمم رسالته».

و ـ **سر مسحة المرضى**: تنطلق من واجب عيادة المرضى والاعتناء بهم، والكهنة «هم الذين يدعون إلى جانب المريض للقيام بالصلاة ووضع اليد والمسحة فيدل على أن المريض لا يُعزل عن الجماعة، بل يرتبط بالكنيسة ارتباطاً شديداً».

ز ـ **سر الزواج**: وهو تقديس الحب الزوجي، وإن اتمام العلاقة بين الزوجين إنما هي إنفاذ لإرادة إلهية، والزواج أثمن خيرات البشرية لأن الأسرة نواة المجتمع البشري. ويوصف العهد بين الرجل والمرأة على أنه صورة العهد بين المسيح والكنيسة. وفي رتبة الزواج الكنسي يطلب ثلاث مرات الإعلان عن الموافقة والرضى من قبل العروسين، وفي ذلك أن الزواج الصحيح يقوم على الرضى بالوحدة وبالخصب (الإنجاب) وبالأمانة الزوجية.

٥ ـ **الصليب**: رمز الخلاص والفداء، ويعدُّ الصليب في أساس المسيحية ووجه من وجوه خصائصها، إنه يرمز إلى الآلام وبها كان التكفير عن الخطايا البشرية، فالمسيح به كان الفادي للبشر.

وهناك نشيد يعبِّر عن موقع الصليب وارتباطه بفعل التضحية ينص:

«لقد حمل هو آلامنا واحتمل أوجاعنا.

طعن بسبب معاصينا وسُحِق بسبب آثامنا.

نزل به العقاب من أجل سلامنا، وبجرحه شُفينا.

وهو حمل خطايا الكثيرين، وشفع في العصاة».

وكما في إنجيل يوحنا: «ليس حب أعظم من هذا، أن يبذل إنسان نفسه لأجل أحبائه».

وبات في العقيدة المسيحية واجب كل مسيحي صادق أن يكون جاهزاً للفداء على درب الجلجلة، وهذا يكون بأن يستعد لحمل صليبه، أي أن يستعد لتلقي الموت والعذاب قدوته المسيح، «لذا أصبحت علامة الصليب هي علامة المسيحية».

٦ ـ **العشاء الرباني أو الفصح السنوي**: هو المناسبة الأبرز والمحطة الرئيسة في المسيحية لأنه مناسبة الفداء، فمع الفصح تمَّ تقديم الجسد لحماً ودماً من أجل التكفير عن خطايا البشر. في العشاء الرباني يُستعمل قليل من الخبز والنبيذ. فالخبز يشير

إلى الجسد المكسور، والنبيذ إلى الدم المسفوك، والعشاء نفسه يشير إلى المجيء الثاني للمسيح، والفصح يشير كذلك إلى المائدة السماوية التي يسير نحوها الإنسان بعد الحياة الدنيا.

وكلمة فصح تعني العبور، وكأنها تشير إلى عبور من آمن بما جاء به المسيح، يعبر بواسطته إلى الآخرة السعيدة. وفي العشاء أبلغ المسيح تلاميذه بأنه قد جاءت لحظة الرحيل من الدنيا، ورد في إنجيل يوحنا: «قبل عيد الفصح كان يسوع يعلم بأن قد أتت ساعة انتقاله عن هذا العالم إلى أبيه». وفي إنجيل مرقس: «وبينما هم يأكلون، أخذ خبزاً وباركه، ثم كسره وناولهم وقال: خذوا، هذا هو جسدي، ثم أخذ كأساً وشكر وناولهم فشربوا منها كلهم وقال لهم: هذا هو دمي، دم العهد، يُراق من أجل جماعة الناس».

إن الأسبوع الذي يسبق الفصح يسمى أسبوع الآلام، يبدأ مع أحد الشعانين ثم يكون خميس الأسرار، فالجمعة الحزينة وفيها طقس هو رتبة دفن المسيح، وفي منتصف ليل السبت/ الأحد تدق أجراس الكنائس إشارة إلى قيامة المسيح من القبر.

الفصح مسيحياً «هو عيد الانتقال من الموت إلى الحياة، كما يرد في كثير من صلوات العيد، وهو عيد قيامة المسيح من الموت الذي به حصل العبور من العبودية الحتمية للعدو للإنسان، الموت، إلى الحرية التي هي الحياة التي لا تعرف نهاية بالإيمان بالمسيح».

المسيحية والإسلام

إن الضرورة الدينية والمجتمعية تفرض أن يكون هناك حوار على مختلف الصعد، يتخذ الحكمة والسماحة منهاجاً من أجل التأسيس لعيش كريم، وأن يكون التلاقي على قاعدة القيم التي دعت لها رسالات السماء، وقاية لإنسان هذه الأيام من مفاسد ورذائل وتحديات وظلم وتعديات.

وإذا كان النص القرآني قد عرَّف المؤمنين إلى العداوة التي يكنُّها يهود لسواهم في قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ ﴾ [المائدة/ ٨٢]، فإننا نجد التوجيه نفسه في المسيحية التي عانت من عدوانية وأذى هؤلاء العنصريين. ومن هذا الباب نذكر من نص رسالة بعثها قسطنطين بعد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م لمن لم يحضروه، وموضوعها عيد الفصح، وقد ورد فيها ما يلي: «إنه لا يناسب على الإطلاق، وخاصة في هذا العيد الأقدس من كل الأعياد، أن نتبع تقليد أو حساب اليهود الذين عميت قلوبهم وعقولهم وغمسوا أيديهم بأعظم الجرائم فظاعة. . . لذلك يجب أن لا يكون لنا ما نشارك به اليهود، فإن عبادتنا قائمة على أسلوب أقوم وأشد انطباقاً على الشريعة، وهكذا إذ نتفق كلنا على اتخاذ هذا الأسلوب ننفصل أيها الأخوة الأحباء عن أي اشتراك ممقوت مع اليهود».

أما العلاقة بين المسيحيين والمسلمين فأساسها عند المسلمين ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [المائدة/ ٨٢]، وأساسها ذلك الشعور بوحدة جبهة المؤمنين في مواجهة الوثنيين والمشركين، وقد برز ذلك يوم تغلب الفرس على الروم، فحزن المسلمون إلى أن جاءهم البلاغ الإلهي بأن الغلبة ستكون من جديد للروم ففرحوا بذلك، لقد قال الله تعالى في سورة الروم: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم/ ٢-٤].

والهجرة الأولى للصحابة في عهد النبوة كانت إلى الحبشة حيث الحاكم مسيحي هو النجاشي، وقال لهم رسول الله ﷺ: **(لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد)**. وكان يمكن أن يفر الصحابة من أذى مشركي قريش إلى منطقة نائية، ولكن هذا الإجراء جاء يؤكد المودة التي نصَّ عليها القرآن الكريم.

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تؤسس لعلاقات بين المسيحيين والمسلمين تحقيقاً للعيش الكريم منها الحديث الشريف: **(إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً)**، وفي رواية: **(وكانت أم إسماعيل منهم)** والعلاقة تقوم على أساس الآية الكريمة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران/ ٦٤].

وإذا راجع المتابع التاريخ ومسار العلاقات يجد أن مناخاً من التسامح الذي يقوم على قاعدة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة/ ٢٥٦]

هو الذي ساد أغلب المراحل، وقد أقر بذلك مؤرخون مسيحيون كثيرون. ومن هذا القبيل نذكر ما قاله تيموثي وير عن هذه العلاقة بعد فتح القسطنطينية، فقد جاء في كتابه «الكنيسة الأرثوذوكسية»: «إن الأتراك سهَّلوا الأمور حيث عاملوا المسيحيين الخاضعين لسلطتهم معاملة شبه حسنة، وكان مسلمو القرن الخامس عشر أكثر تسامحاً تجاه المسيحية مما كان المسيحيون الغربيون فيما بينهم في عصر الإصلاح وفي القرن السابع عشر، وبالنسبة للإسلام يعتبر الكتاب المقدس كتاباً مقدساً ويسوع المسيح نبياً».

أما بالنسبة للمسيحيين فإن مواقف صدرت عبر مسار العلاقات، وكانت تستجيب كذلك للانفتاح والحوار تأسيساً للعيش الكريم، وإذا كان من لزوم المسيحية أن الخلاص يكون بالمسيح عليه السلام، وأنه لا ضرورة لرسل بعده، إلا أن هذا لم يمنع من صدور مواقف تتسم بالموضوعية والإيجابية ولا تتناقض من وجهة نظر مسيحية مع المسيحية، من ذلك النص الذي حققه ونشره الأب سمير خليل، والنص صاغه طيموثاوس الجاثليق، جواباً على سؤال للخليفة العباسي المهدي، ومما جاء في هذا النص:

«وملكنا الحليم، المملوء حكمة، قال لي: «ماذا تقول عن محمد؟

فجاوبته قائلاً: إن محمداً يستحق المدح من جميع الناطقين، وذلك لأجل سلوكه في طريق الأنبياء ومحبِّي الله.

لأن سائر الأنبياء قد علَّموا عن وحدانية الله ومحمد علم عن ذلك.

فإذاً، هو أيضاً سلك في طريق الأنبياء.

ثم كما أن جميع الأنبياء أبعدوا الناس عن الشر والسيئات.

وجذبوهم إلى الصلاح والفضيلة، هكذا محمد أبعد بني ملته عن الشر.

وجذبهم إلى الصلاح والفضائل، فإذاً، هو أيضاً قد سلك في طريق الأنبياء».

ويكمل النص في ذكر فضائل محمد ﷺ، ويختم طيموثاوس قائلاً:

«فذلك ومثل ذلك، أنا وجميع محبي الله ما نقوله عن محمد، أيها الملك المظفر».

وننتقل إلى موقف قريب عهد، إنه موقف المجمع الفاتيكاني الثاني الذي صدر في العام ١٩٦٥ م، ويتضمن ما يلي:

«وتنظر الكنيسة ـ أيضاً ـ بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحيَّ القيوم، الرحمن القدير الذي خلق السماء والأرض، وكلَّم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده، كما سلَّم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه. وإنهم، على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهاً، يكرمونه نبياً، ويكرمون أمه العذراء مريم، مبتهلين إليه أحياناً بإيمان، ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يُجازي الله فيه جميع الناس بعد ما يبعثون أحياء، من أجل هذا يقدِّرون

الحياة الأدبية، ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم، خصوصاً.

ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادقٍ في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية».

إن هذا الطرح يؤسس لعلاقات ضرورية من أجل وحدة وطنية وعيش كريم في مناطق يكون فيها مسلمون ومسيحيون، والإشارة إلى أن الالتقاء على القيم التي تحقق العدل وإنسانية الإنسان إشارة مهمة.

وقد جاء في السياق نفسه نصوص ودعوات حواها الإرشاد الرسولي الذي أعلنه البابا يوحنا بولس الثاني يوم زار لبنان في العام ١٩٩٧م، وعنوانه: «رجاء جديد للبنان»؛ من هذه النصوص ما يلي:

«لا بدَّ خاصة من تكثيف التعاون بين المسيحيين والمسلمين في كل المجالات الممكنة، بروح التجرد، أي من أجل الصالح العام، وليس من أجل مصلحة أشخاص معيَّنين، أو من أجل مصلحة طائفة خاصة، أو أملاً بالحصول على مزيد من النفوذ والسلطة في المجتمع... ليس الحوار الإسلامي ـ المسيحي حواراً بين مثقفين فقط، فهو يهدف، أولاً، إلى تشجيع العيش معاً بين مسيحيين ومسلمين، في روح من الانفتاح والتعاون لا بدَّ منه».

وفي نص آخر: «بودِّي أن أشدد، بالنسبة إلى مسيحيي لبنان، على ضرورة المحافظة على علاقاتهم التضامنية مع العالم العربي وتوطيدها، وأدعوهم إلى اعتبار انضوائهم إلى الثقافة العربية، التي أسهموا فيها إسهاماً كبيراً، موقعاً مميزاً، لكي يقيموا، هم وسائر مسيحيي البلدان العربية حواراً صادقاً وعميقاً مع المسلمين».

إن مثل هذا الفهم للحوار والانتماء الوطني وحده يهيِّء المناخ لعلاقات سليمة، ويعالج الطائفية التي يؤدي التعصب لها واعتمادها إلى الفرقة والانقسام، وليس ذلك في مصلحة أحد.

أترك الخاتمة في هذا الباب للدكتور جان كوربون الذي قال في كتابه «كنيسة المشرق العربي»، حول معالجة الطائفية ما يلي: «والعلاج ممكن ومتنوع، شرط أن تتعاون العناصر الثلاثة المعنية، أعني الكنائس والجماعات الإسلامية والدول. ففي محور الاختيار القومي يجب إنماء سياسة بكاملها، وتربية ترمي إلى الانفتاح الإنساني، والتربية المختلطة، وتعدد تيارات الفكر وطرد الخوف، وهو المعقل الأخير للذهنية الطائفية، وذلك ببناء الأمة التي يسعى إليها كل المواطنين، وأخيراً، وفي داخل الكنائس خاصة، يجب العودة إلى الجوهر لإنعاشه وتبديل القشرة الخارجية، وفي كلا الإنعاش والتبديل مجال للقاء بين العرب المسيحيين، والعرب المسلمين».

الصابئة

النشأة والانتشار

الصابئة أتباع دين قديم العهد نسبياً، وينسبون أنفسهم إلى نوح عليه السلام، وهم أقدم ظهوراً من الإسلام بكثير، وقد ورد ذكرهم مع أهل الكتاب في ثلاثة مواقع من القرآن الكريم:

- في سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٦٢].

- وفي سورة المائدة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة/ ٦٩].

- وفي سورة الحج، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج/ ١٧].

وقد لفَّ لبس كبير تاريخ الصابئة، وتنوعت المواقف منهم، ويكفي أن نعرض ما أورده القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» لنعرف ذلك؛ قال القرطبي: «واخْتُلف في الصابئين؛ فقال

السِّدِّي: هم فرقة من أهل الكتاب، وقاله إسحاق بن راهويه. قال ابن المنذر وقال إسحاق: لا بأس بذبائح الصابئين لأنهم طائفة من أهل الكتاب. وقال أبو حنيفة: لا بأس بذبائحهم ومناكحة نسائهم. وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهبِّ الجنوب؛ يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام.

وقال مجاهد والحسن وابن أبي نجيح: **هم قوم تركَّب دينهم بين اليهودية والمجوسية، لا تؤكل ذبائحهم، ابن عباس: ولا تنكح نساؤهم.** وقال الحسن أيضاً وقتادة: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الخمس، رآهم زياد بن أبي سفيان فأراد وضع الجزية عنهم حين عرف أنهم يعبدون الملائكة، والذي تحصَّل من مذهبهم ـ فيما ذكره بعض علمائنا ـ أنهم موحدون معتقدون تأثير النجوم وأنها فعَّالة؛ ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري القادرَ بالله بكفرهم حين سأله عنهم».

إن هذا الاستعراض للمواقف، كما جاء عند القرطبي، يبيِّن لنا مدى الاختلاف في الموقف من الصابئة، لكن ما لا خلاف فيه أنهم موحدون معتقدون بوسائط بين الخالق والمخلوقات هي الكواكب، وهم كالزرادشتية أهل شبهة كتاب، يعاملون كأهل الكتاب، ولكن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم.

ومذهب الصابئة من الديانات الحيَّة، فلا يزال لها أتباع، خاصة في العراق، ولكن عددهم غير دقيق، وهم يقيمون ـ غالباً ـ في منطقة البطائح، وتقول الليدي دراوور في كتابها «الصابئة المندائيون»: «واليوم فإن مراكز الصابئين الرئيسة هي

في جنوبي العراق في منطقة الأهواز، وعلى الضفاف من نهري دجلة والفرات، في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية وسوق الشيوخ، ويوجد جماعات منهم بأعداد مختلفة إلى الشمال من المناطق المذكورة، كبغداد والكويت والديوانية وكركوك والموصل. . . فقد كان عدد الصابئين كبيراً في إقليم عربستان، غير أن عددهم آخذ بالتناقص، والساكنون منهم في المحمرة والأهواز على ضفاف نهر كارون ليسوا بنعمة وصحة كما هي عليه الحال مع الصابئين في العراق».

ولأماكن انتشار الصابئة على ضفاف الأنهار مبرر طقسي عندهم، هو أنهم يركزون على التعميد الذي يجب أن يتم بماء متصل مع أصله.

ولكن يبدو أنهم حريصون على عدم إظهار شعائرهم أو انتمائهم الحقيقي دون تحديد الأسباب، اللهم إلا مسايرة المحيط العام الذي يعيشون فيه، وهو وسط مسلم، هذا ما ذهب إليه الباحث العراقي السيد عبد الرزاق الحسني الذي قال: «يعيش بين ظهرانينا في العراق قسم من الناس لهم تقاليدهم ولهم عاداتهم ولغتهم، ويكادون أن يكونوا ممتازين بكل مظاهر حياتهم، وحتى بأشكالهم وسحنة وجوههم، ويطلق عليهم اسم الصابئة. وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد لا يكونون، إلا أن الشيء المحقَّق عندنا هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة القديمة، وطقوس دينهم، بارزة بين معتقدات هؤلاء القوم وبين طقوسهم الدينية، كاحترام النجوم، واستقبال نجم القطب،

وتكريم الكواكب السَّيارة وغير ذلك من أصول الدين الصابىء مما يتدين به هذا المجموع الممتاز.

إنهم شعب غريب نزح إلى هذه البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من عادات وتقاليد، والتزم بالسكن على ضفاف الأنهر، وبقرب المياه الجارية، نظراً لما يقيمه من الطقوس الدينية التي لا تتم إلا بالارتماس في الماء الجاري، لهذا عُرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائح نسبة إلى بطائح العراق المشهورة».

لقد كتب السيد الحسني هذا الكلام في ستينات القرن العشرين للميلاد، وتشير بعض المصادر المعاصرة إلى أن عدد الصابئة قرابة ١٥٠ ألف نسمة.

العقيدة والطقوس عند الصابئة

يؤمن الصابئة بالخالق سبحانه وبوحدانيته، وقد قال الشهرستاني عنهم: «ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعاً، فاطراً، حكيماً، مقدساً عن سمات الحدثان. والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله».

وقد وردت نصوص في كتاب الصابئة المقدس المسمى: «كنزاربا»؛ تؤكِّد التزامهم عقيدة التوحيد، منها النص التالي:

«إلهي طاهر
سبحان بقلب
سبحان ربِّي، بقلب طاهر
إله كل العوالم، سبحانه

مبارك هو ومسبَّح، معظَّم ومبجل
ودائم، الله العظيم المتعالي
سبحانه ملك عالم الأنوار السامي
رب الحق ذو الحول الشامل
الذي لا شبيه له، النور النقي، والخير
العميم الذي لا ينضب، الغفور التوَّاب،
الرحيم الرحمان، العارف
بجميع الطَّيبين، العزيز الحكيم
العالم البصير، القادر على
كل شيء. ربُّ كلِّ
عوالم النور، العليا والوسطى
والسفلى، ذو الجلال
العظيم الذي لم يُر ولم يُسمع».

الصابئة يعتقدون «أن الخالق واحد أزلي أبدي، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزَّه عن عالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علَّة وجود الأشياء، ومكوِّنها».

إلا أن الصابئة يعتقدون بدورٍ ما للأفلاك والكواكب في تدبير العالم، أو أنها وسائط بين الخالق والمخلوقات، ولذلك قال بعض المؤرخين عن الصابئة إنهم عبدة الكواكب. وذهب الصابئة إلى أن الله تعالى يخلق ما هو خير، وحاشا له أن يخلق ما هو شر أو

فاسد أو سافل، وقد قال ابن حزم عنهم في كتابه «الفِصل في الملل والأهواء والنحل» ما يلي: «قالوا: وجدنا الحكيم لا يفعل الشر، ولا يخلق خلقاً ثمَّ يسلِّط عليه غيره، وهذا عيب في المعهود. ووجدنا العالم كلَّه ينقسم قسمين، كل قسم منهما ضد الآخر كالخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحياة والموت، والصدق والكذب، فعلمنا أن الحكيم لا يفعل إلا الخير، وما يليق فعله به، وعلمنا أن الشرور لها فاعل غيره وهو شرٌّ مثلها».

أما بالنسبة للطقوس والعبادة فإن اللافت للنظر أن الماء يدخل بقوة في شعائرهم، وربما كان السبب أنهم ينسبون أنفسهم إلى نوح عليه السلام، وحكاية الماء مع نوح والطوفان معلومة.

أ ـ التعميد: وهو على أنواع عندهم، **أبرزها**: «مصبُتَه» ومعناه التعميد الكامل، و«يتضمن مراسم قداس الزيت والخبز والماء وتصافح اليدين والتقبيل، وهو ما يسمى منح الكشطة البركة الأخيرة التي يمثلها وضع يد الكاهن اليمنى فوق رأس الشخص المتعمد. ويقوم بإجراء هذا التعميد الكامل الكاهن في يوم واحد، إثر نجاسات كبرى (الزواج، الولادة، التماس مع الميت... الخ)، وبعد خطايا معينة كقول الكذب والنميمة، وبعد عراك حادٍّ، وفي الحقيقة بعد أي عمل يخجل المرء من إتيانه. والخطايا الرئيسة كالسرقة والقتل والزنى تتطلب أكثر من عماد واحد، وبصورة عامة فكلما كثر التعميد كان ذلك أحسن، هكذا يقول الكَّهان».

وهذا التعميد يكون أيام الآحاد وفي بعض الأعياد، وفي

الأيام الخمسة الكبيسة من كل سنة ويسمونها (البنجة)، لأن السنة عند الصابئة ٣٦٠ يوماً.

والنوع **الثاني**: هو تعميد الولادة، ويكون بعد ٤٥ يوماً من الولادة، ويقال عند هذه العمادة ما يلي: «أعمدك باسم الثلاثة: الله ومندايي ويحيى (يوحنا). أعمدك معمودية بهرام العظيم ابن روربي لتكون معموديتك حارسة لك، ورافعة إياك إلى العلاء».

والنوع **الثالث**: عمادة الزواج، وتتم عند القران، ويستحب أن يكون التعميد الأول للزواج يوم أحد، أو ـ حسب معتقدهم ـ يوم حمد ميمون من الناحية الفلكية، وهذا الطقس لا يقوم به الكاهن إلا بعد التأكد من أن العروس ليست قريبة من ميعاد الحيض.

والنوع **الرابع**: هو التعميد بمناسبة الأعياد، وعندهم أربعة أعياد في السنة هي: العيد الكبير، وهو رأس السنة التي هي ٣٦٠ يوماً، والعيد الصغير (وهو حنينه) وموعده بعد ١٢٨ يوماً من العيد الكبير، وعيد البنجة (الأيام الكبيسة) ويكون في أوائل نيسان، وعيد يوحنا (يحيى).

وعندهم الوضوء (الرشامة) والطهارة من الجنابة (طماشة)، والجنابة تكون من الحيض والولادة، والجماع، والاحتلام، ولمس الميت. أما مفسدات الوضوء فهي: البول والغائط والريح، ولمس الحائض والنفساء، وجسد المرأة الأجنبية، والوضوء واجب قبل كل صلاة. فيتم الوضوء على الشكل التالي: يشرع المتوضىء به «مبتدئاً بغسل اليدين... ثم يغسل وجهه ثلاث مرات، بأن يغترف من ماء النهر ويصبُّه عليه... ثم يبلُّ يده في الماء، ويجمع أصابع يده اليمنى، ويمررها على

جبهته، من مبدأ صدغه الأيمن حتى صدغه الأيسر . . . ثم يدخل سبَّابته في أذنيه ويكرر ذلك ثلاث مرات . . . ثم يستنشق ثلاثاً . . . ثم يتمضمض مرة واحدة . . . ثم يأخذ قليلاً من الماء برؤوس أصابعه العشرة فيرميها على ركبتيه وساقيه . . . ثم يغسل رجليه».

ب ـ **الصلاة**: حسب ابن النديم، عندهم ثلاثة فروض للصلاة في اليوم: «المفترض عليهم في الصلاة في كل يوم ثلاث: أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل، لتنقضي مع طلوع الشمس، وهي ثماني ركعات وثلاث سجدات مع كل ركعة.

والثانية انقضاؤها مع زوال الشمس، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة.

والثالث مثل الثانية، انقضاؤها عند غروب الشمس».

أما النصوص المستخدمة، فإن كل صلاة لها ما يخصها. ففي صلاة الفجر يقولون ما معناه:

«**النص الأولى**:

ـ موجود الحي ماري موجود مندا (بيت العبادة) أدهيي (من أسماء الله)

ـ بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الأنوار

ـ الإله الذي انبعث من ذاته، لا باطل اسمك ولا مبطل.

ـ يا حي، يا ماري، يا مندا أدهيي.

النص الثاني:

ـ سبحانك ربي، عهداً أحفظه بأسماء الحي الرب.

ـ قوموا قوموا بخير متصدقين، قوموا أتقياء ومؤمنين، قوموا.
ـ اسجدوا وسبحوا للحي العظيم، وسبحوا للملك شيشلام
ـ العظيم، وسبحوا الذي الأسرار الخفية الربانية، وسبحوا الياور.
ـ العظيم ولازلات الكبير، وسبحوا لسيمات هيي الأم التي منها كل العوالم.
ـ وسبحوا للعين والنخلة ولأبي الملائكة.
ـ الذي منه نشأوا، إنا نسجد ونسبح لملك عالم الأنوار الرؤوف الرحيم.

النص الثالث:

ـ بأسماء الحي العظيم للحيِّ سجدنا، ولماري ومندا.
ـ أدهيي
ـ سبحنا ولذي السيماء الجليلة الذي انبعث من ذاته.

النص الرابع:

ـ عهداً نحفظه، بأسماء الحي العظيم الجالس على عرش عالم الأنوار.
ـ رب جميع الأعمال، السلام والزكاة لذي الحول والحق.
ـ ذي الأمر والنهي ليهدي عقلي ويغفر خطاياي أنا.
ـ الاسم الديني (الملواشة) وبقوة ياورزيوا وسيمات هيي».

أما صلاة الظهر (البراقة) فتبدأ بتلاوة النص الأول من صلاة الصبح ـ وقد ذكرناه سابقاً ـ وبعدها يأتي:

«ـ بأسماء الحي العظيم، إنَّا للحيِّ القديم سجدنا ولماري.
ـ ومندا أدهيي سبحنا ولذَّياك المحيا الموقر الذي انبعث من ذاته».

وبعد ذلك تتم قراءة النص الرابع من صلاة الصبح.

وصلاة المساء (البراقة) تبدأ بما يلي:

«ـ بأسمائك الحي العظيم، الأذان الأذان، وجب أداء الرحمة.

ـ وتلاوة السور فجبريل عالم بالساعة وشيتل يتلو الآيات.

ـ كل متعمد بالعماد يسلم ويتقيم بالسور المتلوَّة.

ـ باسم الحي العظيم، للحي سجدنا ولماري ومندا أدهيي.

ـ وسبحنا لذياك الوجه الموقر الذي انبعث من ذاته».

بعد هذا النص يتلون النص الرابع من صلاة الفجر.

جـ ـ الصوم: هناك خلاف حول هذا الموضوع بالنسبة لمن كتبوا عن الصابئة، فإن ابن النديم، في الفهرست، يشير إلى فريضة الصوم عند الصابئة قائلاً: «والمفترض عليهم من الصيام ثلاثون يوماً، أولها لثمانٍ يمضين من اجتماع آذار، وتسعة أُخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول، وسبعة أيام أُخر أولها لثمانٍ يمضين من شباط وهي أعظمها».

أما السيد عبد الرزاق الحسني الذي كتب في النصف الثاني من القرن العشرين، فيقول بأن الصابئة يجاملون جيرانهم المسلمين في شهر رمضان فيتظاهرون بالصوم، أما الحقيقة فإنه لا فريضة صوم عندهم بل هو حرام كما يقول: «نجد الصابئة المندائية (الحاليين) يحرِّمون الصيام في طقوسهم الدينية ويرون أنه من باب تحريم ما أحله الله».

ولكن السيد الحسني يستدرك ليقول: «ونجدهم أيضاً يمتنعون

عن أكل اللحوم ٣٦ يوماً، مقسمة بين أيام السنة، على نحو امتناع النصارى عنها».

د ـ التقويم ومصير الكون عند الصابئة: يعتمد الصابئة للسنة طريقة حسابية، وأنها من اثني عشر شهراً، وكل شهر ثلاثون يوماً، وبذلك تكون السنة ٣٦٠ يوماً، وما تبقى وهو خمسة أيام وبعض اليوم هي عندهم أيام كبيسة يسمونها: البنجة.

وفي عقيدتهم أن في الكون ٣٦٠ شخصاً خُلقوا ليفعلوا أفعال الآلهة، إلا أنهم ليسوا آلهة، وعددهم بعدد أيام السنة.

ويجعلون للدنيا أعماراً مرت فيها حالات دمار مرة تلو الأخرى. ومما يذكرونه أن عمر الدنيا يوم الطوفان زمن نوح عليه السلام كان (٤٦٦٠٠٠ سنة)، وعمر الدنيا إلى آخر حكم البابليين (٤٧٢٧٥٧ سنة)، وبعد ظهور الإسلام حتى الآن حوالي ١٤٠٠ سنة، ويزعمون أن العالم سيبقى «على شكله القائم ٢٦٥٥ عاماً حتى يظهر المسيح المرتقب، وهو غير المسيح الأول الذي جاء إلى الدنيا بمظهر جسماني، فتتبدل العبادات، وينبذ السلاح وتمحى الديانات. . . ويكون العالم على دين واحد، وتستمر الحالة على هذا المنوال ستين ألف سنة، ثم يرجع الأمر إلى شريعة آدم السابقة، ومنها إلى هيبل زيوا، فيبقى تحت حكمه خمسين ألف سنة ثم يصير إلى إمامات، ويستمر مئة وسبعين سنة، ثم تفنى الأرض لتعود إلى عالم الأنوار، أي يبقى من عمر الأرض ١١٢٨٢٥ سنة».

وبهذه الحسابات يكون الصابئة قد تحدثوا عن شكل من

الرجعة يجلب السلام، كسائر القائلين بذلك.

هـ ـ **الزواج عند الصابئة**: يحض دين الصابئة على الزواج، ورجال الدين عندهم ـ كذلك ـ يتزوجون. وقد ذكر الشهرستاني أنهم «أمروا بالتزويج بوليٍّ وشهود، ولا يجوِّزون الطلاق إلا بحكم حاكم، ولا يجمعون بين امرأتين».

ويذهب ابن النديم في الفهرست بالاتجاه نفسه، حيث يقول: «ويتزوجون بشهود إلا من قريب القرابة. وفريضة الذكر والأنثى سواء. ولا طلاق إلا بحجة بيِّنة عن فاحشة ظاهرة، ولا تُراجع المطلقة، ولا يجمع بين امرأتين ولا يطأهن إلا لطلب الولد».

ولكن الليدي دراوور التي قامت ببحث ميداني معاصر تذكر التالي: «قال لي أحد الكهان (كنزفره)، وكان متزوجاً من اثنتين: ليس للرجل غير المتزوج من جنَّة في الآخرة، ولا من جنَّة في الدنيا، ولو لم تُخلق المرأة لما كان هناك شمس ولا قمر ولا زراعة ولا ماء. فالأولاد يرفعون اسم الإنسان في الآخرة، ويحملون جنازته حين يموت، ويقرأون المسخثة من أجله. وللرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء وبقدر ما تسمح له ظروفه، ومع ذلك فتعدد الزوجات هو الاستثناء، وكثير من الصابئين يفضلون الزواج بواحدة. ولاحظت أن أكثر الكهان كانوا متزوجين باثنتين أو أكثر في نفس الوقت».

فتعدد الزوجات إذن مرخص به، والزواج مهم في مجتمع الصابئة والتناسل هو من غاياته الأساسية.

الزرادشتيــة

النشأة والانتشار

المؤسس: زرادشت بن يورشب، ظهر في القرن السادس قبل الميلاد في عهد الملك كشتاسب، وحوله أسطورة نسجها أتباعه أوردها ابن الأثير على الشكل التالي: «أما المجوس فيزعمون أن أصله من أذربيجان، وأنه نزل على الملك من سقف إيوانه وبيده كبَّة من نار يلعب بها ولا تحرقه، وكل من أخذها من يده لم تحرقه، وأنه اتبعه الملك ودان بدينه، وبنى بيوت النيران في البلاد، وأشعل من تلك النار في بيوت النيران، فيزعمون أن النيران التي في بيوت عبادتهم من تلك إلى الآن».

وتسمى الزرادشتية بالمجوسية، لأن قبيلة المجوس الفارسية كانت من أوائل من آمنوا بدعوة زرادشت، وفي النص القرآني ورد ذكرهم على أنهم «مجوس» وكذلك في السنَّة النبوية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج/١٧].

وقد قال القرطبي في تفسير هذه الآية: المجوس هم عبدة النيران القائلين بأن للعالم أصلين: نور وظلمة.

وفي قاموس الكتاب المقدس: «مجوس: كلمة فارسية تعني كهنة، رتبتهم بين الحاكم والشعب في بلاد مادي وفارس، وكانوا خدمة دين زرادشت».

الزرادشتية من الديانات الحيَّة، وأتباعها الحاليون يزيدون على ثلاثماية ألف، أما توزيعهم، حسب المرجع الأعلى للطائفة في إيران السيد رستم شهزادي، فهو كما يلي: «يبلغ عدد أبناء الطائفة الزرادشتية في إيران ٩١ ألف نسمة، حالياً موزعين بشكل رئيسي على مدن طهران وكرمان وأصفهان وشيراز، وهناك أعداد قليلة تسكن بعض المدن الإيرانية الأخرى... والإحصاءات تشير إلى أن هناك حوالي مئة ألف في الهند، وخمسين ألفاً في الباكستان، وخمسين ألفاً في دول أوروبا، وعشرين ألفاً في دول أمريكا، وعشرين ألفاً آخر في إفريقيا الجنوبية». ولا نستطيع الاطمئنان إلى هذا الإحصاء لأن الزرادشتية، كسائر الأقليات الدينية، قد يتستر بعض أتباعها ويخفون انتماءهم خوفاً من أذى قد يلحقهم.

ويبدو أن الزرادشتية قد دخلت الهند في وقت مبكر، وذلك في القرن الثامن الميلادي، ومع منتصف القرن السابع عشر الميلادي تمركز معظمهم في بومباي، والهند تعد الموطن الثاني للزرادشتيين بعد إيران، وفي بومباي يعملون في قطاعات فاعلة

حيث معظمهم من رجال الأعمال والتجار والمصرفيين.

أما في إيران، بلد نشأتهم الأولى، فالظاهر أنهم يتمتعون بقدر من الحرية، وحق المشاركة في الحياة السياسية، ويصرح بذلك أعيانهم، حيث يقول المهندس أفلاطون ضيافت، المتخرج من جامعة طهران في العام ١٩٩٣م، بأنه يعمل في وظيفة مرموقة في الخارجية الإيرانية، كما أنه شغل سابقاً منصب قائمقام في أقضية محافظة كرمان، وكان قد شغل منصب عضو في مجلس الشورى الإسلامي في دورته الثالثة كممثل عن الطائفة الزرادشتية، ويرأس جمعية زرادشتية مرخصة تصدر مجلة خاصة بطائفتهم اسمها: وهومن.

أما السبب في قلة عددهم نسبياً فيبرره زعيمهم الروحي السيد رستم شهزادي قائلاً: «السبب في ذلك هو أننا لسنا كالأديان الأخرى، نقبل بانتماء الآخرين إلى ديانتنا، فالديانة الزرادشتية لا تقبل بانضمام أي فرد آخر إليها ما لم يكن من أبوين مجوسيين، وهذه القاعدة نعمل بها، وعمل بها زعماؤنا الدينيون منذ الفتح الإسلامي لإيران قبل أكثر من ألف وثلاثمائة عام».

والزرادشتيون الذين يعتمدون بيوت النار في عباداتهم، صولحوا على ذلك من قبل الفاتحين المسلمين وكأنهم من أهل الكتاب، مع الإشارة إلى أنهم يصنَّفون أهل شبهة كتاب، ويصالحون ويكون التعامل معهم كأهل الكتاب باستثناء أمرين هما: أنه لا تنكح نساؤهم، ولا تؤكل ذبائحهم.

العقيدة والطقوس عند الزرادشتية

يؤمن الزرادشتيون بإلهين: أهورامزدا ـ آهرمان.

أهورمزدا: إلّه النور والسماء، وأن الآلهة الأخرى مظاهر وصفات له. والكلمة من ثلاثة مقاطع: هو ـ را ـ مزدا، ومعناها: أنا الوجود الخالق، أو أنا خالق الكون.

آهرمان: معنى الكلمة الخبيث أو القوى الخبيثة، وهو خالق الشر ومصدر الظلمة.

عند زرادشت: الإله «هو السيِّد المهيمن الحكيم، أهورامزدا، خالق السموات والأرض، وهو الأول والآخر... ولا يمكن أن تكون لله علاقة بالشَّر، فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة، وتخلق الرجال والنساء، وتعارضه الروح الشريرة، أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة، والتكبُّر والكذب، وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين».

فالشر إذاً مصدره آهرمان، وهو الشيطان الذي يغري بالشرور ويوجدها، وهذا الأمر هو الذي أسهم في وجود الصراع واستمراره بين أهورامزدا وبين آهرمان. هذا ما دفع إلى تسميتهم بالثنوية، أي القائلين بإلّهين: إلّه النور، وإلّه الظلمة، وأن الصالحين أنصار إلّه النور، والأشرار يتبعون إلّه الظلمة.

ويقرب معتقدهم من التوحيد حيث يصرحون بأن الخالق هو الذي يخلق الجواهر كلها، ولا مصدر للخلق سواه في هذا المستوى. أما

الشر فلا يصح أن ينسب إلى الخالق.

يقول جفري بارندر في مفهومهم هذا، إنهم يقولون: «الله لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن الشَّر، لأن الشَّر جوهر مثله مثل الخير، وكل منهما يرجع في النهاية إلى سبب أول هو الله، والشيطان آهرمان (Ahriman) الموجود بصفة مستمرة، والمسؤول عن كل شرور العالم، وعن الأمراض، والموت والغضب والتهم».

وينقل الزرادشتيون أن المؤسس انتصر على إغراء الشيطان، وقالوا في هذا: «أراد الشيطان أن يغريه ولكنه أخفق... فلم يشك أو يتململ بل ظل مستمسكاً بإيمانه بأهورامزدا (رب النور) الإله الأعظم. وتجلَّى له أهورامزدا ووضع في يديه الأبستاق أي كتاب العلم والحكمة، وأمره أن يعظ بما جاء فيه». والأبستاق هي تسمية أخرى للآفستا.

وقد تعرض الزرادشتيون لهزَّة عنيفة قديماً إبَّان غزو الإسكندر. يقول بأن زرادشت قد كتب ٢٠ كتاباً، كل منها يتألف من ١٠٠٠٠٠ آية أو مقطع، ونسخت على ١٢٠٠٠ جلد من جلود البقر، وعندما انتصر عليهم الإسكندر قام بإحراقها، وكان ذلك في العام ٣٣٠ ق.م، وبعد ذلك قاموا بجمع ما وجدوه من روايات يتناقلها الناس من كتاب الآفستا المنسوب إلى زرادشت، وعدُّوه كتابهم المقدس، وقد نقلوه إلى الفارسية القديمة (الفهلوية) ما بين القرنين الثالث والعاشر للميلاد، وأقدم مخطوطة موجودة منه تعود إلى العام ١٢٥٨م، والمشهور

عندهم أن صاحب الفضل في جمع نصوص الآفستا يعود لأردشير الأول وابنه سابور الأول.

أما بالنسبة لعقيدتهم في زرادشت، وغائية ما دعوته، فإن المرجع الديني الحالي لهم في إيران السيد رستم شهزادي يقول: «نحن نعتقد أن نبينا زرادشت كما نحن نعتقد بوحدانية الله فلا نعبد غيره، وعندما جاء زرادشت برسالته إلى البشر حاول نشر المبادىء الأساسية الثلاثة التالية:

١ ـ الفكر والنية الحسنة.

٢ ـ القول الحسن.

٣ ـ العمل الحسن».

ويكمل شهزادي قائلاً: «ونحن نعتقد أن الإنسان، ومتى ما عمل بهذه المبادىء الثلاثة فإنه سيعيش في دنياه وآخرته. أما أصول ديننا فهي ستة:

١ ـ التوحيد.

٢ ـ الإيمان بنبوة زرادشت.

٣ ـ العمل الحسن والقول الحسن والنية الحسنة.

٤ ـ بقاء الروح.

٥ ـ وجود الثواب والعقاب.

٦ ـ المعاد في يوم القيامة».

أما طقوسهم، فالعنصر فيها بيوت النار، لأن النار هي مصدر النور وتحلُّ بديلاً عن الشمس حال عدم توافر نور الشمس

المشرقة بفعل الزمان أو المكان، يقول شهزادي: «إن ما نفعله هو أننا نتجه للنار في بعض الأحيان باعتبارها تمثّل النور الذي نعتقد بأنه انعكاس أو مظاهر من مظاهر الله، فنحن في الحقيقة، وعندما نتوجه لعبادة الله، نتجه للنار بأي شكل كان، ففي النهار قبلتنا الشمس، وفي الليل القمر أو النجوم أو أي ضياء كان، ومنها النار طبعاً، حيث نعتقد أن نور جميع هذه الأشياء يمثل النور الإلهي، فالمهم إذن أن نتجه لأي مصدر للنور مهما كان شكله أو حجمه كقبلةٍ لنا نقدسها ولا نعبدها».

أما بيوت النار، وهي بيوت عبادتهم، فإن مظهرها من الخارج لا يشير إليها كسواها من بيوت العبادة عند غيرهم، أما ترتيبها الداخلي فأساسه غرفة خاصة تتوسطها النار المقدسة الموجودة في موقد حجري ذي أربع قوائم، ويقوم عليها كاهن يوقدها على مدار ساعات اليوم، والمتعبدون يلقون فيها كميات من البخور، والكاهن يضع على فمه كمامة خوف أن يدنِّس النار. «ويتقدم المؤمنون واحداً واحداً إلى عتبة الغرفة حيث النار المقدسة، بعد خلع أحذيتهم، وغسل الأجزاء المكشوفة من أجسادهم، ويتلون صلاة الغاتا القديمة التي لا يعرفون معناها عموماً، لا هم ولا الكهنة الذين يحفظون في ذاكرتهم كثيراً من مقاطع الآفستا. وعلى العتبة يتناول الكاهن من المؤمن تقدمته التي هي قبضة من البخور ومبلغ من المال، ويناوله حفنة رماد صغيرة من الموقد المقدس، يمسح بها جبينه وأجفانه».

أما صلاتهم فهي خمس مرات في اليوم:

١ ـ صلاة الصبح: كان هاون.

٢ ـ صلاة الظهر: كان رفون.

٣ ـ صلاة العصر: كان إزيرن.

٤ ـ صلاة الليل: كان عيوه سرتيرد.

٥ ـ صلاة الفجر: كان إشهن.

وعندهم صلاة عند غروب الشمس، واحتفالات في مناسبات خاصة كالميلاد، والبلوغ، والزواج، وإنجاب الأولاد.

الرجعة ونهاية العالم عند الزرادشتية

يعتقد الزرادشتيون أن نهاية العالم تكون عندما ينتصر أهورامزدا إلّه النور على آهرمان إله الظلمة والشر، بذلك يتبدد الظلام وتنتقي الشرور وأنواع الشقاء.

والزرادشتية، كدعوات كثيرة، تقول بالرجعة وهي عودة من سينشر العدل والأمن وهو عندهم «أشيزريكا»؛ أي الرجل العالم أو العارف، وقد ورد حول هذا الموضوع عند الشهرستاني في كتاب: «الملل والنحل» ما يلي:

«ومما أخبر به زرادشت في كتاب زندأفستا أنه قال: سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه أشيزريكا، ومعناه الرجل العالم، يزيِّن العالم بالدين والعدل، ثم يظهر في زمانه تبياره فيوقع الآفة في أمره وملكه عشرون سنة، ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم، ويحيي العدل، ويميت الجور، ويردُّ السنن المغيَّرة إلى أوضاعها

الأولى، وتنقاد له الملوك، وتتيسَّر له الأمور، وينصر الدين والحق، ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن».

نختم بالقول: إن ظهور زرادشت في بلاد فارس المجاورة للأمة العربية، مهد رسالات السماء، قد يكون السبب في أن كثيراً مما جاء به يتوافق مع مبادىء وقيم جاءت بها رسالات السماء، وهذا ما جعل المجوس، أو الزرادشتيين، في موقع أهل الكتاب وأن يكون التعامل، كما سبق القول، كأهل شبهة كتاب.

الهندوسية

تمهيد

تنتشر الهندوسية في بلاد الهند دون سائر الأقطار والبلدان، وقد استمد اسمها من بلد الانتشار، وهي نتاج تراكم معرفي ديني على امتداد آلاف السنين.

وإذا كانت المنطقة العربية مهد الحضارات الأول من خلال مواقع عديدة فيها تمتد في مختلف أرجائها، وتحتاج للعد إلى ثبت طويل، فإن هذه الحضارات اتجهت شرقاً، وتواصلت مع فارس والهند والصين، وبعد ذلك شقَّت طريقها إلى بلاد اليونان (الإغريق القدماء).

هذه الإشارة تفيد لجهة تبيان أثر هذا التواصل الحضاري فعلاً وردة فعل، وتأثُّراً وتأثيراً. والدستور الهندي المعاصر يصنف الهندوس على أنهم أصل، ويليهم سائر أتباع المعتقدات الأخرى..

إن الآريين الذين انتشروا في الهند حوالي العام ١٧٠٠ق.م، بعد أن تغلبوا على الدرافيديين، هم الذين تبلورت معهم الهندوسية، هذه الديانة التي لا ينسبها أتباعها لمؤسس معين، وإنما هي النتاج

لمعارف ومعتقدات وتقاليد لازمت تاريخ الهند وتبلورت شخصيتها من خلاله، لذلك يكون التأريخ للهندوسية تأريخاً للهند نفسها على مدى ما يربو على خمسة آلاف سنة، لهذا نقول: الهندوسية تشمل الدين والحضارة والعادات والتقاليد، فهي نمط ثقافي يشمل كل ما يخص الهندوس وبلاد الهند.

عقيدة الهندوس

إن دراسة عقيدة الهندوس مركَّب وعر، لأن الاختلاط والمؤثرات في مجتمع الهند، مضافاً إلى ذلك كثرة الشعوب التي غزت الهند وعاشت في ذلك البلد، كل ذلك جعل تضارباً كبيراً يحصل في معتقد الهندوس، والسائد عندهم الإيمان بتعدد الآلهة، وعقيدة التوحيد التي برزت عند بعض الشعوب بفعل الفطرة أو رسالات السماء لم تعرف طريقها إلى معتقد الهندوس. والهندوس يؤمنون بالتثليث (برهما ـ فشنو ـ شيفا) في إطار الوحدة حيث يعتقدون أن برماتما هو رب الأرباب.

ثالوث الآلهة عندهم يعاون برماتما، كلٌّ له اختصاص، ومفهومهم حول الآلهة على الوجه التالي:

أ ـ برهما: يطلق عليه اسم: سانج هيانج، ويدعى بلغتهم السانسكريتية: (Utpeti)، وهو الخالق، حسب معتقدهم، لذلك نسجوا حوله أسطورة تدور حول عملية الخلق. لكن برهما مهمل في شعائرهم وطقوسهم لأنهم لا ينسبون إليه مهمات معينة ترتبط بواقعهم.

ب ـ فشنو: ويسمونه الحافظ، وباللغة السانسكريتية (Sthiti)، وهو عندهم ممتلىء بالحب والرحمة، ويصورونه غالباً على هيئة إنسان جاء ليقدم الخير والعون للبشر.

كل وجوه الخير والعطار والجمال والحب تنسب، وفق عقيدة الهندوس، للإله فشنو. وحسب معتقدهم يساعده في مهمته آلهة آخرون منهم اثنان مشهوران هما: راما وكرشنا، وبخلاف برهما فإن فشنو له حضور مميَّز وتجليات في العبادات، والشعائر الهندوسية.

جـ ـ شيفا: هو نقيض فشنو ويسمونه بالسانسكريتية (Sangkanparan)، وهو المهلك للعالم، وإليه يُنسب الفناء والدمار، وكل ما هو شر ومرذول، كالحروب والقسوة وجفاف المياه واصفرار الأوراق.

غير هذه الآلهة الثلاثة يؤمن الهندوس، كما سبق القول، بآلهة متعددة، وينسبون لكل واحد منها اختصاصاً محدداً، ولكنها جميعاً لا ترقى عندهم إلى مستوى ثالوث (برهما ـ فشنو ـ شيفا).

من هذه الآلهة كرشنا، الذي قالوا فيه إنه أتى من أجل إحلال السلام، وبودا، أو يودهي، الذي جاء ينشر المعرفة والتعليم الموصل إلى الطمأنينة، وكاليكي (Kaluki) المنتظر الذي يتوقع الهندوس تجليه وظهوره في وقت ما.

مصير النفس وحرق جثة الميت: النفس عندهم لها أدوار تمرُّ بها في الأبدان طلباً للتطهر، لذلك لم يتحدثوا عن عالم آخر وعن مصير ينتظر النفس اللهم إلا مصير الاتحاد بالروح الكلية

المسمى النيرفانا، وهذا هو الخلاص عندهم.

أعمال الإنسان تحدد مصير النفس، فعندما يتم اتباع الفضائل في دورات متعددة، تنعتق النفس من دورة الحياة في الأبدان، ويتحقق لها الخلاص بالاتحاد بالروح الكلية، والروح التي تسمو عندهم إلى مرتبة التقديس والتطهير يسمونها آتما (Atma)، وهي في الجسد بمنزلة السائق من العربة، أي أن قيادة الإنسان في يد النفس لا البدن.

النفس، من خلال تناسخها في بدن بعد بدن، تستكمل التطهير، وبذلك تتوقف عملية انتقالها بالأبدان ليتحقق الاتحاد المذكور، والسبيل إلى ذلك ملاشاة البدن وإضعافه وإماتة الشهوات والغرائز من خلال رياضات قاسية بدنية ونفسية تبلورت صيغتها عندهم بما عُرف باسم: اليوغا.

اليوغا: لفظة سانسكريتية معناها «النير»، لأنها تخلص النفس من نير الأبدان. وبحسب مبدأ «كارما» عندهم، قد تتطلب المسألة أكثر من حياة واحدة، أي ولادات متتالية في صور إنسانية أو حيوانية أحياناً.

تستكمل مسألة الانتقام من «البدن بطقس حرق جثة الميت عندهم، ومن ثم جمع رمادها وإلقائه في نهر الغانج المقدس عندهم، الذي يحجون إليه وللاغتسال بمائه أو لإلقاء رماد جثث الموتى لأنه يطهِّرهم من الذنوب والآثام، لذلك يسمونه: «جانجاماتا» أي الغانج الأم.

الأبقار في الهندوسية: وقف زهاد ورهبان الهندوسية موقفاً داعياً إلى الامتناع عن أكل اللحوم، وتبريرهم أن الحيوانات لها نفوس حيّة كالبشر، وشجعوا على الغذاء النباتي، ولكن، مع الوقت، اقتصر الأمر عند عمومهم على تحريم أكل لحوم الأبقار، وتوصل الأمر تدريجياً إلى تقديس الأبقار وليس عبادتها كما يتداول بعض الناس.

الأبقار عندهم تُخلّى وشأنها ويأكلون حليبها، ويستخدمون روثها في تسميد الأرض، والثيران للحراثة، لذلك نمت ثروتهم الحيوانية من البقر فبلغت مئات الألوف.

والبقر، المقدس في نظرهم، يتجول حيث يشاء، وقد يعبر أهم الشوارع فيتوقف السير ويزدحم، وقد يتوقف قطار مسرع لمرور قطيع من الأبقار حتى لو أدى التوقف إلى حادث أليم.

وقد يفرش بعضهم السجاد الأحمر لمرور الأبقار، كما أن بول البقر يدخله بعض كهانهم إلى المعابد بأوعية خاصة، ويقومون برشِّه على من يؤدون العبادات في هذه المعابد تبرُّكاً، حسب معتقداتهم، كما أن روث البقر الجاف قد يوقدونه في بيوتهم للغاية نفسها. ومن جملة خطوات تقديسهم للأبقار أن الهندوسية توجِّه إلى دفن البقرة عند موتها، والدفن يرافقه طقوس دينية وشكل من الإجلال للمناسبة، والمستغرب كيف أنهم، بمقابل ذلك، يحرقون جثة الإنسان الميت بينما يقومون بدفن البقر عند موته.

الكتب الهندوسية المقدسة

الهندوسية ديانة تطورت مفاهيمها ومعتقداتها مع الزمن في المجتمع الهندي، وما عندها من معتقدات وتشريعات ليس منسوباً لإنسان يعينه أو لحقبة معينة، لذلك لم يرد عندهم ذكر لنبيٍ أو متنبئين، وكتبهم التي عُرفت باسم: الڤيدات أو الويدات تُشكِّل مدونة كبرى تبدأ رحلتها منذ العام ٢٥٠٠ق.م.

تعاليم الهندوس نقلت شفوياً لمدة طويلة، وقد اختلفت الروايات حول البدء بعملية التدوين، فمنهم من يردُّ ذلك إلى العام ٢٥٠٠ق.م، ومنهم من يقول العام ١٥٠٠ق.م، ومنهم من يقول إن التدوين بدأ عام ٨٠٠ ق.م.

وقد ترافق تدوين الڤيدات مع اللغة السانسكريتية التي كان إتقانها مقصوراً على الكهنة والطبقات العليا، لذلك قاموا بتدوين الڤيدات لتكون سلاحاً بيدهم في مواجهة الناس. والڤيدات موزعة في أربعة كتب هي: الريج ويدا ـ ياجور ويدا ـ ساما ويدا ـ آثار ويدا، ويمكن إجمالها في مجموعتين هما:

١ ـ ويدا (ڤيدا) سمروتي ويحوي دستور الهندوس،

٢ ـ ويدا (فيدا) سمرتي ويحوي القوانين التنفيذية والتشريعات.

والكتاب الثاني هو الأكثر أهمية، ويتم تداوله حالياً تحت اسم: منوسمرتي، أي شرع مانو.

يقول د. إحسان حقي معلقاً على كتاب الهندوس «منوسمرتي»:

«وإذا شئنا أن نصف منُوسمرتي قلنا إنها مجموعة متناقضات، إذ بينما نراه يرتفع بتشريعه إلى أعلى درجات العقل والإدراك وسلامة الذوق والتفكير، نراه ينحدر فجأة إلى درجة من السخافة والإسفاف المخجل . . . ولئن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على أن هذا الكتاب كتب في أوقات متباعدة وبأيدي أناس مختلفين اختلافاً كبيراً في العلم والعقل والإدراك».

الطبقات الأربع عند الهندوس

اختلط في تراث الهندوس العامل الديني بالسياسي بالاجتماعي، فتأصل عندهم نظام طبقي مغلق يتوزع الناس فيه على أربع طبقات بالولادة، ولا أحد يستطيع تجاوز طبقته، والطبقات عندهم هي:

١ ـ **البراهمة**: وهم طبقة الكهنة ورجال الدين، ويصنفون بأنهم وافرو العقل لذلك يقر لهم المجتمع بأنهم الأكثر ثقافة. وأبناء هذه الطبقة، الذين يشكلون القيادة الدينية، هم الكهنة والمعلمون الذين يصنَّفون في خانة حملة الثقافة وحماة العدالة والأخلاق، وهم يحافظون على المعرفة والثقافة إرضاء للآلهة حسب الشائع عندهم.

٢ ـ **كشاتريا**: يتولى هؤلاء القيادة السياسية والعسكرية، وبيدهم أمن البلاد وأمر الحفاظ عليها، وهم مطالبون بأن يتميزوا بالكفاءة السياسية والعسكرية ليتمتعوا بالإقدام والمهابة. ومن صفاتهم القوة والاستقامة والكرم والشجاعة.

٣ ـ **الفايشاش أو الويش**: الفئة المنتجة، وبيدهم الأمن الغذائي للمجتمع، وهم الذين يتولون خدمة الأمة بشكل فعلي، ويتبيَّن ذلك من خلال نص في كتابهم «منوسمرتي» حدَّد مهام هذه الطبقة، وفي النص ما يلي: «فرض على الويش سبعة أمور هي: حفظ الحيوانات ورعيها، وإعطاء الصدقات، والقيام بعبادة يگيه، وقراءة الويدا، والعمل بالتجارة، والتعامل بالربا، والاشتغال بالزراعة». فهذه الطبقة هي المسؤولة عن الإنتاج والرخاء.

٤ ـ **شودار أو سودرا**: هي أدنى طبقات المجتمع، وحسب أسطورة الخلق عندهم، الشودار مخلوقون من رجلي براهما، وهذه الطبقة أشبه ما تكون عندهم بطبقة العبيد، وكثيراً ما كانوا يسمونهم، المنبوذين، وقد ورد في «منوسمرتي» حول هذه الطبقة: «هي آخر طبقات المجتمع، هي طبقة القاع التي لا تملك شيئاً البتة، غير أنها تقدم نفسها قرباناً، ويكفي أن تحصل على قوتها عن طريق المسألة».

من طقوس وشرع الهندوس

لقد تراكمت أحكام الشريعة الهندوسية مع الزمن عبر آلاف السنين حتى وصلت إلى ما هي عليه حالياً، ولا يبعد أن يكون قد حصل تأثير على شريعتهم من مصادر الرسالات السماوية أو سواها، خاصة إذا عرفنا بأن التواصل الحضاري بين المنطقة العربية، وهي مهد رسالات السماء، وبين الهند تواصل قائم ضارب في أعماق التاريخ.

اهتم الهندوس باعتماد الماء للطهارة في حالات عديدة، ومما ورد عندهم في كتابهم «منُوسمرتي»: «إذا ما خرج المني من الإنسان فإنه يتطهر بالغسل». والمرأة عليها التطهر بعد الحيض والإجهاض أو وضع الحمل، وفي هذا جاء عندهم: «تطهر المرأة بعد الإجهاض بيوم عن كل شهر من أشهر الحمل، وتطهر بعد الحيض بالغسل».

ويذهبون مذهباً يقربهم من اليهودية بشأن التطهر في بعض الحالات، كلمس المرأة في الحيض أو لمس الميت، يقولون: «يطهر المرء بالغسل إذا ما لامس شخصاً من الأسافل، أو امرأة حائضاً أو نفساء أو جثمان ميت، أو لمس من قد لمس جثمان ميت».

أما صلاتهم فتؤدى إفرادية، فلا صلاة جماعية، وهي على ثلاثة أنواع:

١ ـ صلاة برفقة الكاهن واتباع ترانيمه.
٢ ـ صلاة برفقة الكاهن دون اتباع ترانيمه.
٣ ـ صلاة فردية.

وصلاتهم تكون مرتين في اليوم، صباحاً ومساءً، ولصلاتهم أركان هي: الاستحمام، ارتداء الثياب النظيفة، وهي للكهنة وتستحب لسواهم، من اللون الأصفر أو الأبيض؛ أما الشكل: فالرجل يجلس متربعاً والمرأة تجثو على ركبتيها، والصلاة عندهم تأمل مع قراءة أدعية مخصوصة يتلوها الكاهن حال أداء الصلاة بقيادته أو بمواكبته، وإذا أدوا الصلاة في المعابد تراهم

يدخلون معهم الأزهار والبخور وهو يحترق بنار، وقد يدخل الكاهن معه دعاء مملوءاً ببول البقر يرشه على المصلين عند الانتهاء.

والهندوس ينظرون إلى المرأة نظرة دونية، وهي دوماً محتاجة لرجل يمارس الولاية عليها. يقولون: «يجب على المرأة، وهي صغيرة وشابّة أو مسنّة، ألا تعمل عملاً، ولو داخل دارها بمطلق إرادتها وحريتها، بل يجب أن تكون في صغرها تابعة لأبيها، وفي صباها لزوجها، وإذا مات زوجها فلابنها، ولا تكون مطلقة الحرية».

وفي التشريعات الهندوسية، التي وردت في كتابهم: «منوسمرتي»، قيم وفضائل لا تبعد عما جاءت به الشرائع السماوية، وسائر الفلسفات التي اعتنت بالفضائل الخلقية.

إن الاحترام لكبير السن، وللمتعب في عمل، أمر واجب، وقد جاء عندهم: «على المرء أن يوسِّع الطريق لراكب المركبة ولمن أناف على التسعين وللمريض، ولمن كان يحمل حملاً، وللمرأة وللتلميذ وللملك وللعروس».

ومن الرذائل التي دعت الهندوسية إلى محاربتها القمار، فقد عدوها مهلكة ومؤذية للبلاد، وأن واجب الحاكم والمسؤول أن يحاربها وأن يلاحق المقامرين. ورد في «منوسمرتي» ما يلي: «على الملك أن يمنع المقامرة والرهان في مملكته لأنهما يبيدان الملك... على الملك أن يعمل جهد طاقته لإبادة المقامرين والمراهنين لأن القمار والرهان سرقة ظاهرة».

أختم بفقرة من «منوسمرتي» فيها ذم لمجموعة من الرذائل

تصلح أن تكون في ميدان ما نسميه التربية على القيم، ونراهم فيها يقاربون ما هو ديني سماوي، وقد تكون مقتبسة مما هو رسالي سماوي.

يقولون ما يلي: «إن المرتشي والماكر والمدلِّس والمقامر والمعلم الذي يعلِّم أداء الطقوس الدينية بالأجر لا للثواب، والذي يسلك بالخبث والنفاق، والذي يعيش بالتنجيم ورجال الحكومة الكبار والطبيب الذي لا يمارس مهنته بصدق، والمشعوذ والمومس الماكرة، وغيرهم من الناس الذين يخادعون ويمكرون جهراً، والذي يتزيَّا بزيِّ الفرق الغالية، هم شوك للرعية... على الملك أن يستقصي أخبار هؤلاء الناس ويقبض عليهم، فإذا أصبحوا في قبضة الملك عليه أن ينظر إلى إجرامهم وإلى قواهم البدنية ثم لينزل العقاب بكل واحد منهم بالنسبة إلى جرمه».

إن معاقبة المرتشي والمقامر والمفسد والمتاجر بالدين والمنافق والمنجم، وكل من لا يمارس عمله بشكل سليم، من القواعد الإصلاحية الأساسية لأي مجتمع، فإن من حذر منهم هذا النص، وطالب بإنزال العقاب بهم هم فعلاً الشوك المؤذي للرعية، ولا يمكن أن يقوم مجتمع أو دولة تسود فيهما الفضائل إلا إذا تمَّ وضع حدٍّ لمثل هؤلاء المفسدين.

الفصل السادس

البوذيـة

تمهيـد

إن غوتاما سيد هارثا والذي سمِّي بوذا (المستنير)، فيما بعد، لم يهدف إلى وضع ديانة وضعية، ولم يبحث أصلاً في موضوع الإلهيات إن لجهة عملية الخلق، أو أصل الكون، أو طبيعة الإله. وما سعى إليه هو ثورة اجتماعية إصلاحية ترفض بعض ما كان سائداً في مجتمع الهند، وبشكل خاص نظام الطبقات الأربع الذي وجد فيه بوذا ظلماً وسبباً لشقاء عدد كبير من أبناء مجتمعه.

بوذا مصلح اجتماعي، وفيلسوف في باب الأخلاق أكثر منه صاحب ديانة، لكن الأمور بعد بوذا اختلفت، لأن مريديه قدَّسوه بعد موته وبنوا المعابد، ونصبوا التماثيل له، وحوَّلوا فلسفته إلى ديانة واسعة الانتشار في الهند وخارجها.

وهناك مفارقة بين الهندوسية والبوذية، هي أن الهندوسية لا تنسب لشخص بعينه، وإنما هي نتاج تراكم معرفي في الموضوع الديني عند الهنود بحيث تحوي تطور الفكرة الدينية عندهم،

وأصبحت بذلك لصيقة الصلة بالشخصية القومية الهندية، بينما البوذية تُنسب لشخص بعينه، لذلك أمكنها الانتشار خارج الهند وفي معظم بلدان شرقي آسيا، بخلاف الهندوسية التي بقيت ضمن حدود الهند.

بوذا: (٥٦٤ ق.م ـ ٤٨٣ ق.م) ولد لأسرة من الكشاتريا حسب التصنيف الهندوسي؛ أي من طبقة الأمراء والحكام، وكان مولده في قرية كبيلافاستو في النيبال الحالية. وقد نسج البوذيون حول مولده أسطورة أعطت لهذا المولد حالة معينة، ومما جاء فيها أن أمه مايا حين وضعته خاطبت أختها ياراجاني قائلة لها: «إن الأم التي ولدت بوذا لن تلد ولداً آخر، وقريباً أترك هذا العالم مخلِّفة زوجي الملك وولدي سيدهارثا، فكوني لولدي أماً».

بعد أن شبَّ بوذا زوجَّه أبوه وأنجب مولوداً؛ بعد هذه المحطة بدأ القلق يساوره حول الحياة والمصير، وآلمه أن تكون الفوارق في مجتمعه إلى هذا الحد، فهو الذي كان يتنعم في قصر مع أسرته لم يرق له أن يرى العجوز المهمل، والفقير الذي لا يجد طعامه، والمريض الذي يئن ألماً، والجنازة التي يحمل صاحبها، فقد دفعته هذه المشاهد إلى هجر حياته وقصره، وخرج هائماً على وجهه في البراري مع رهبان الهندوسية، حيث تحول إلى حياة قاسية بغرض إماتة بدنه، حيث اكتفى من الطعام ببعض حبيبات لسد رمقه.

لكنه أيقن سريعاً بأن ذلك غير كافٍ للوصول إلى الحقيقة حيث قال: «إنني بمثل هذه القسوة لا أراني أبلغ العلم والبصيرة الساميتين على مستوى البشر، وهما العلم والمعرفة اللتان تتصفان بالرفعة الحقيقية».

فعمد إلى حالة تأمل قد توصله إلى ما ينشده من الحقيقة، وقد جلس متأملاً تحت شجرة «بو»، وقد باتت مقدسة عند البوذيين، وسمَّوها شجرة الحكمة، وعندها بلغ غوتاما مرتبة البوذا، هكذا بعد انقطاع إلى حياة التأمل الفكري تألق وجهه، وهو يقول: «أخيراً وجدت مفتاح الحكمة. إنه أول قانون للحياة. . . من الخير يجب أن يأتي الخير. . . ومن الشر يجب أن يأتي الشر». واستنتج غوتاما أنه بلغ مرحلة البوذا (الاستنارة) التي كان يسعى لها، بعد بوذا انتشر بين أتباعه أنه خالد ومتأله وكامل والاتحاد به هو المطلب، وسيرته هي الشريعة.

إن مكانة بوذا عند أتباعه تنطلق من تحديد صاغه خليفته الأول آنوروا وردت في «إنجيل بوذا»، وهو كتابهم المقدس، حيث قال:

«إن غوتاما شودهاراثا كان الحقيقة المنظورة بيننا، إنه الواحد المقدس الكامل، وهو الواحد المبارك، وقد حلَّت فيه الحقيقة العليا وصارت إنساناً وأعلنها لنا.

إن تتفانا (بوذا) علَّمنا أن الحقيقة كانت في البدء قبل أن يولد في هذا العالم، وهي هي بعد أن صار إلى النيرڤانا المباركة.

إن تتفانا (بوذا) قال: أنا الواحد المبارك، أنا الحقيقة الممثلة والموجود الخالد الذي ظهر في العالم.

ولتحفظ جيداً أن ليست الشريعة هذه ولا تلك التي علمنا إياها في دهارما[1]، بل هي بوذا الحقيقة الخالدة التي ظهرت بيننا بمجد عظيم».

إن هذه النظرة لبوذا التي رفعته إلى مستوى القداسة والخلود عند أتباعه، والذين تحولوا إلى دين له أتباعه بمئات الملايين، تختلف عمَّا قصده بوذا الذي لم يتجاوز اهتمامه حدود الإصلاح لنظام الأخلاق والاجتماع البشري، ولم يدخل بوذا في موضوع المعابد والعبادات، وما نراه اليوم كله تراكمات في البوذية حصلت بعد بوذا.

إن الفضل في انتشار البوذية يعود لفيلسوف حاكم هندي يدعى آشوكا (Asoka)، تولى الحكم عام ٢٧٣ ق.م بعد جده الأمير شاندراغوتبا الذي أجلى الإغريق عن الهند بعد غزوهم لها بقيادة الإسكندر سنة ٤٢١ ق.م، وبعده كان بندوسارا ابنه ووالد آشوكا.

لقد زهد آشوكا وهجر الحروب، واتبع البوذية، ومارس فعل الخير والتنمية في الهند بدل التسلط على طريقة أسلافه، ومن ثم أرسل المبشرين بالبوذية إلى سيلان وكشمير وبلاد اليونان

---

(١) دهارما: أصل الأشياء والأحياء ومصدر الدين.

وسواها من المناطق المجاورة للهند.

والبوذيون اليوم يتجاوز عددهم ٤٠٠ مليون نسمة، وينتشرون في الهند والصين واليابان وأندونيسيا وماليزيا، ويشكلون الأغلبية في الدول التالية: بورما، تايلاند، تايوان، سريلانكا، فيتنام، كمبوديا، كوريا، لاوس، منغوليا، وسنغافورة.

وتجدر الملاحظة أن البوذية في الصين ممزوجة مع الكنفوشية، وفي اليابان مع الشنتوية، والأمر الآخر هو أن العلاقات الاجتماعية بين البوذيين لم تعرف العنف كسواها بسبب نبذ البوذية للعنف، والأمر الثالث هو أن البوذية موجودة في النيبال بلد بوذا، ولكن أتباعها ليسوا الأغلبية وإن كان يوجد فيها المعبد الأول والأهم عند البوذيين، وهو في كاتمند عاصمة النيبال، ويدعى هذا المعبد «سوايامبونات».

معتقدات البوذية وفكرة الخلاص

لم يتعرض بوذا لموضوع الألوهية رغم أنه نشأ في مجتمع الهند المؤمن بتعدد الآلهة، ولم يدعُ لعبادة، ولم يقل بجزاء أخروي، إلا أنه آمن كالهندوس بتناسخ الأرواح بانتقالها من بدن إلى آخر طلباً للتطهر، ومن ثم الخلاص بعد ذلك بمفارقتها الأبدان لتتحد بالروح الكلية بما يسمى النيرڤانا، لهذا يرى البوذيون أن المتدين منهم، طالب الخلاص لنفسه، عليه أن يجاهد متبعاً طريق بوذا كي يصل إلى مقصده.

ويزعم البوذيون أن بوذا قبل أن يصبح «المستنير» تقمصت روحه ٥٣٠ جسداً، منها ٤٢ حالة تقمص في آلهة، و٨٠ حالة في أجساد ملوك، والموت ـ وفق مفهوم البوذيين ـ الذي يصيب الجسد لا ينهي وجود الإنسان.

إن طريق الخلاص الذي ينتهي بالنيرڤانا يمر بالزهد والتغلب على الأهواء والشهوات. لقد جاء في نصوص إنجيل بوذا: «الزاهد هو الذي يتغلب على كل رغبة عالمية ولذة محتقراً وجوده... إن من يتغلب على الشهوات ويتحرر من الكبرياء والعظمة، يذلُّ رغباته، ويلين جانبه، يشعر بغبطة نفسية فيسلك حسناً في هذا العالم.

إن المؤمن الحق هو الذي يعرف طريق النيرڤانا، فلا يحتد، ولا يغضب، ولا يجدُّ، بل يكون طاهر القلب، صافي النيَّة، حسن السيرة، مبتعداً عن الشرِّ قولاً وفعلاً، هو الزاهد السالك في سبل العالم حسناً».

إن هذا النظام يؤسس لحياة رهبانية قاسية تعمل لإماتة البدن وملاشاته، ولكن شرطهم أن يترافق ذلك مع التعقل والفكر السليم، وأن يتبع السالك منهج بوذا مخالفاً الشيطان المسمى عندهم: «مارا». ومن أطاع «مارا» (الشيطان) يكون قد اتبع شهواته التي كان بالأصل عليه أن يقاومها.

جاء في «إنجيل بوذا»: «إن الشرير يصوغ أخلاقه، بها يتألم بعد أن يضعه مارا في بؤرة الأوجاع والأحزان.

إن الإنسان هو نفسه يطهِّر ذاته أو يدنسها، فابذل ما بوسعك لتتطهر، وتتفانا (بوذا) وحده يرشدك إلى الصراط الحق، والفكر الذي يلج سبيل الحق يتحرر من قيود مارا الشرير، فمن استيقظ ولبى نداء ضميره يخلص، وأما الذي يتوانى ويكسل فيسقط».

وجاء في «إنجيل بوذا» كذلك: «إن الذين يعيشون لمسرَّاتهم، ويهتمون بما يأكلون ويشربون، قد قيَّدهم مارا بقيوده وجعلهم يتلاعب بهم تلاعب الريح بالشجرة الضعيفة التي لا تصمد فتسقط، إن الذين لا يهتمون بما للجسد من أكل وشرب، فهم كصخرة ثابتة في أصيل جبل لا تقوى الرياح على زعزعتها».

البوذية تركِّز على نظرية الإخماد؛ أي إخماد الشهوة، والإعراض عن إشباع الحاجات البدنية كي يتحقق الخلاص للنفس بالتطهر من خلال دورتها في الأبدان، إلا أن الوصول إلى هذه النتيجة يحتاج للسلوك وفق أربع حقائق هي حسب ورودها في «إنجيل بوذا»)

«١ ـ **الحقيقة المثلى الأولى**: الولادة حزن، النمو شقاء، المرض آلام، والموت عذاب، وإنه لمن المضني المؤلم أن نجاور ما لا نحب ونرغب فيه، وإنه لمن الحزن العميق أن نفترق عمن نشغف به حباً، ونتحمل العذاب والقهر من أجله.

٢ ـ **الحقيقة المثلى الثانية**: الألم وسببه الشهوة التي تكتنف العالم، إحساساً واستجداءً وعطشاً، وتتطلب الإرواء من الأشياء التي تتراءى للذات، وهذه كلها تقود إلى اللذة المرغوب

فيها، وهي سبب الأوجاع.

٣ ـ **الحقيقة المثلى الثالثة:** الإحساس بالحزن، ومن يقهر شهواته ويتغلب عليها يعدُّ عظيماً، لأنه يتحرر من القيود، فلا يأخذه طمع أو بريق لذة.

٤ ـ **الحقيقة المثلى الرابعة:** هي الممر الثامن إلى الإحساس بالحزن، وللذات التي تسعى وراء الحقيقة المجردة خلاص إذا سلكت سبيل الصلاح ورفضت كل لذة عالمية، فالحكيم **الحكيم هو ذلك الذي يسلك الطريق المعبدة بإخلاص فيتفلَّت من كل حزن وألم».**

أما الممرات الثمانية التي ذكرها، أو أشار إليها في الحقيقة المثلى الرابعة، فهي التي تشكل الطريق للخلاص مجتمعة وهي:

١ ـ صحَّة الفهم واستقامته.

٢ ـ النتيجة التي تعقب الطمأنينة.

٣ ـ الكلام الحق.

٤ ـ الأعمال الصالحة.

٥ ـ الطريق السوي لكسب العيش.

٦ ـ الجهد الحسن في الخير.

٧ ـ الأفكار الصالحة.

٨ ـ سلامة العقل والضمير.

هذه الضوابط أو الممرات، كما سُميت عند البوذيين، هي

سبيل الصلاح وركائز الإصلاح، وتبيِّن، بشكل جلي، مقدار تركيز بوذا على الأخلاق، وأنه لم يعر اهتماماً لموضوع الإيمان وتفسير ظواهر الخلق والكائنات، وإنما كل همه كان منصباً على الإنسان وخلاصه من الشقاء، ولن يكون ذلك إلا من خلال قواعد تقوم على الفكر السليم، والحكمة ومعهما السلوك الفاضل.

من النظام الأخلاقي للبوذية

تشدِّد البوذية على الأخلاق، وهي مسلك منطلقه طهارة باطن الإنسان، حتى أن رهبان البوذية يرتدون اللون الأصفر ليدللون على أنه تعبير عن إشراق الحق في نفوسهم، وأن سرائرهم نقية براقة كلون لباسهم. وفي إحدى أدبياتهم «دارما بادا» قالوا: «الذين يريدون ارتداء الثياب الصفراء عليهم أن يطهِّروا أبدانهم من الباطن وإلاّ فإنهم لا يستحقون ارتداء هذه الثياب».

فالنية تؤسس للعمل، وسلامة النيات تؤدي إلى السلوك الفاضل. حتى المال، وهو متعلق مادي، يكون التصرف به والتعامل معه بناء لما في نفوسنا حياله، فالدافع للعمل سابق عليه. قال البوذيون في إطار الحديث عن هذا الأمر: «جميع الأقوال هي نتيجة لتفكيرنا بصورته المعيَّنة خيراً كان أو شراً، فنتائج الأعمال تتبع الباعث على العمل كعجلات العربة تتبع حوافر الحيوان الذي يشدُّها».

بعد النية أو الباعث يأتي دور الفكر واعتماد الحكمة والاتزان

بعيداً عن الأهواء والشهوات، لأن الإنسان كلما قاوم سلطان الشهوة كلما استطاع أن يواجه المثيرات والمغريات مهما ازدادت. يقول البوذيون: «وإذا كانت الرياح لا تستطيع أن تؤثر شيئاً في الجبل الأشمِّ فإن الأحداث كذلك لن تؤثِّر في الشخص الذي أبعد عن فكره الهوى والشهوة، ووجَّه طاقته لليقين والحياة الزاهدة».

فالزهد والفكر السليم سلاحان يتقي بهما صاحبهما الشرور والرذائل مهما هبت عليه أعاصير الشهوة، فقد قالوا في هذا: «وإذا كان المطر لا يمكنه التأثير في السقف المتين فإن النفس وشهواتها لا يمكن أن تؤثر في الفكر السليم».

والفكر السليم الذي يقي صاحبه من الشرور والمفاسد هو ذلك الذي ينطلق من الفضائل، ويكون منهجه مستنداً إليها لأن الأشخاص الذين «يفكرون بمنطق الفضيلة في كل غاياتهم ومقاصدهم يزدادون قوة على قوة في سلامة منطقهم، فلا يتقيَّدون برباط دنيوي أو شهواني».

إن من أراد أن يسلك طريق الفضيلة، ويعتزل الشرور يوجِّهه بوذا في «إنجيله» إلى اعتزال الشرور العشر؛ فيقول له:

«إن جميع الأعمال السَّيئة تنتج عن شرور عشرة، والابتعاد عنها يأتي بالحسن الجيِّد.

يوجد ثلاثة شرور جسدية، وأربعة لسانية، وثلاثة فكرية.

أما الشرور الجسدية فهي: القتل والسرقة والزنى.

وأما اللسانية فهي: الكذب والإساءة والوشاية والكلام الباطل.

وأما الفكرية فهي: الطمع والبغض والضلال.

وإنّي موصيكم بالإبتعاد عنها جملة:

لا تقتل بل إحرص على الحياة.

لا تسرق، ولا تسلب بل دع المجتهد يلذُّ بثمار أتعابه.

تجنَّب الدناءة ومِل إلى النقاوة.

لا تكذب بل كن صادقاً، وقل بإدراك وبدون جزع وبقلب محب.

لا تختلق شراً، ولا تشتهِ مقتنى قريبك، بل غضَّ بصرك وكن مدافعاً مخلصاً عنه ضد الأعداء.

لا تحلف بل تكلم بوقارٍ واحتشام.

لا تبدد الوقت بالهذر، بل قل ما يجب أو فاصمت.

لا تطمع ولا تحسد بل إفرح لسعادة الآخرين.

نقِّ قلبك من كل شرٍّ ودنس، ولا يمِلْ قلبك إلى البغض بل أحب عدوك، وعامل الخلق بمعروف وإحسان.

حرِّر عقلك من الكبرياء، واسلك سبيل الصدق، ولا سيما فيما تحتاج إليه، لئلا تسقط فريسة للريب والضلال، لأن الريب يجعلك مهملاً متوانياً ويقودك إلى الجهل فتضلَّ عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى حياة الخلود».

هذه الوصايا لا تبعد مما جاء في الوصايا الدينية في رسالات السماء، وإذا كان من المعلوم أن اتصالاً حضارياً كان قائماً مع

بلاد الهند والشرق عموماً مع المنطقة العربية منذ آلاف السنين، فإنه لا يبعد أن تكون هذه التوجهات السليمة قد تسرَّبت إلى بوذا من الرسول، ومنها الوصايا العشر عند موسى عليه السلام.

وبوذا الذي حرص على الإصلاح ونشر الخلق القويم، عالج الأمر بسلبية حيث أنه دعا الإنسان إلى العزلة، والعيش بعيداً من الناس والمجتمع، فهو بذلك يحقق الخلاص، فقد ورد في أدبيات البوذية: «الغابات هي المحل الذي يسعد الإنسان القديس الطاهر، حيث لا يقابل إنساناً من البشر العاديين، لأنه قد تحرَّر من أهواء النفس، ولهذا فإنه يشعر بالسعادة والراحة والطمأنينة لأنه لا يشغل بالبحث عن مادية تهواها نفسه».

إن مثل هذا الاتجاه السلبي وجد فيه بعض دعاة الرهبانية وغلاة الصوفية ما يرضيهم، لكن أي إنسان إيجابي لا يوافق على ما ذهبت إليه البوذية، فالأصل أن يخالط الإنسان الناس، وأن ينخرط في المجتمع مساهماً بما يستطيع.

إلا أن سلبية العلاج البوذي هذه لم تلغِ أمراً آخر هو أن في البوذية إيجابيات عديدة تجدر الاستفادة منها في إطار فلسفات الأخلاق، منها مثلاً القول:

«فليحاول الناس أن يسيطروا على الغضب بالصبر، فليحاول الناس التغلب على الشرور بالعمل الفاضل، فليحاول الناس التغلب على البخل بأسلوب الكرم، فليحاول الناس التصدي للكذب بالتحلي بالصدق».

إن البوذية، التي تدعو إلى العزلة والابتعاد عن المجتمع، فإن في ذلك السعادة، كان موقفها سلبياً من المرأة، وفي هذا تلتقي مع الهندوسية، وتستمد الموقف السلبي البوذي من المرأة من حوار جرى بين بوذا وتلميذه المقرب «أناندا» وفيه ما يلي:

«ـ كيف ينبغي يا مولاي أن نسلك إزاء النساء؟

ـ كما لو لم تكن قد رأيتهن يا أناندا.

ـ لكن ماذا نصنع لو تحتمت علينا رؤيتهن؟

ـ لا تتحدث إليهن يا أناندا.

ـ لكن إذا ما تحدثن إلينا يا مولاي، فماذا نصنع؟

ـ كن منهن على حذر تامٍ يا أناندا».

نخلص إلى القول: إن البوذية، وهي تنتشر اليوم كديانة يعتقدها مئات الملايين، كانت قد بدأت مع بوذا فلسفة أخلاقية تبغي إزالة الشقاء عن الإنسان وتحقيق خلاصه، وقد اعتمدت المسلك السلبي بتوجيهها إلى الزهد والتقشف والعزلة، إلا أنها اليوم، وبعد تراكمات ثقافية عديدة على مرِّ القرون، باتت ديانة وضعية، وقد داخلتها مؤثرات ثقافية عديدة، ولم تعد كما كانت، أو كما صاغها بوذا وأراد لها أن تكون.

الفصل السابع

السيخية

المؤسس والنشأة

لقد أعلن مؤسس السيخية ناناك (Nanak)، المولود سنة ١٤٦٩م، السيخية كمذهب جديد، وفي السيخية الأثر الإسلامي والهندوسي واضح بيِّن.

ولد ناناك في نيسان/ أبريل ١٤٦٩ م في قرية تلفاندي التي تبعد ٤٠ ميلاً جنوب غربي لاهور، وتعرف القرية حالياً باسم ننكانار صاحب.

عمل ناناك الفتى في خدمة حاكم سلطانبور، وعنده تعرَّف على عامل مسلم صوفي يدعى ماردانا كان يمارس السماع من خلال الإنشاد والعزف على الربابة، وبذلك تأثر ناناك، وعمد إلى إصلاح ديني وسط الهندوس كان قد سبقه إليه كبير (Kabir) (١٤٤٠ ـ ١٥١٨ م) الذي كان متأثراً بالهندوسية وبالتصوف الإسلامي.

مع العام ١٥٠٠ م غاب ناناك عن الأنظار ليخرج إلى الناس بعد مدة مدَّعياً أنه مكلف إلهياً بنشر دعوة دينية جديدة. لقد

زعم، وهو مقتنع بذلك، أنه، وبناء لنداء إلهي علوي، بات الرسول المبعوث للمسلمين والهندوس ولكل فئات المجتمع، ودعوته تقوم على ثلاث قواعد هي:

«١ ـ الكد والعناء، وسلوك طريق التقشف وشظف العيش.

٢ ـ ممارسة الإحسان والبر للآخرين أيّاً كانوا.

٣ ـ التأمل الفكري الذي تنتج منه أشعار مؤلفة من قبل الغورو ناناك، وأهمية التأمل عنده أنه يوّفر للإنسان غذاء روحياً، وهذا يساعد هذا المتأمل على رؤية الله والتعرف عليه في وجوه أبناء الإنسانية جميعاً».

حصل له ما كان لبوذا، فقد نظر إليه أتباعه، بداية، على أنه صاحب فكرة إصلاحية، ومن ثمَّ تكرست دعوته ديناً وضعياً جديداً. مارس الرحلة إلى أن استقرت به الحال على ضفاف نهر راڤي، حيث أقام قريته على قطعة أرض أتته تبرعاً، وسمّاها كارتر بور، وقد بقي فيها إلى حين وفاته في سبتمبر/ أيلول من العام ١٥٣٩ م.

وكان بعده خلفاء له، تعاقبوا على رئاسة أتباعه السيخ، وعددهم تسعة وكل واحد منهم لقبوه (Gourou)؛ غورو أي المعلم.

كان الشخص من أتباعه يسمى ناناك بانتيز؛ أي المتحد مع ناناك، وبعدها بات يسمى السيخ ومعناها: المتعلم أو المريد.

أما خلفاؤه منهم: أنجد (١٥٠٤ ـ ١٥٥٢ م) وعمار داس

(١٤٧٩ ـ ١٥٧٤ م) وإليه يُعزى الفضل في تطوير تشريعات السيخية وطقوسها، كالزواج والموت وسائر وجوه الحياة، وانتقل بالدعوة السيخية إلى الأرياف، وأخذ من الهندوسية بعض الأعياد مع طقوس الاغتسال فيها، ورام داس (١٥٣٤ ـ ١٥٨١ م)، وهذا هو الذي أسس مدينة أمريستار التي باتت مدينة السيخ المقدسة ولا تزال، وفيها معبدهم الأول معبد الذهب (Le Temple d'or)، وإن كان هذا المعبد قد بناه الغورو الخامس أرجان (١٥٦٣ ـ ١٦٠٦ م)، وأرجان من المساهمين الرئيسيين في مسيرة السيخية. فبالإضافة إلى بناء المعبد في أمريستار، فإنه من صاغ كتابهم المعتمد حتى يومنا هذا المسمى آدي غرانت (Adi-Granth)، أو غرانت صاحب (Granth-Sahib)، بعده كان الغورو السادس ابنه هاغوبند (١٥٩٥ ـ ١٦٤٥ م)، وفي عهده بدأ السيخ يمارسون السلطة السياسية والعسكرية في مناطق انتشارهم، وبعده الغورو هارراي (١٦٣٠ ـ ١٦٦١ م) وكان مسالماً للمغول، وقد تراجع عما سنَّه سلفه، وبعده كان الغورو هاركيشان (١٦٥٦ ـ ١٦٦٤ م) وقد سمَّاه أبوه للمنصب ولكنه توفي متأثراً بالجدري وهو ابن ثماني سنوات، وتولى الغورو التاسع تاج بهادور (١٦٢٢ ـ ١٦٧٦ م)، وكان يميل للمسالمة وعدم المواجهة. ووصلت القيادة إلى الغورو العاشر غوبندسنغ الذي تولى المسؤولية في العام ١٦٧٦ م وبقي فيها إلى يوم اغتياله في ناندر المعروفة اليوم باسم مهارشترا، في تشرين الأول/ أكتوبر من العام ١٧٠٨ م.

الغورو غوبندسنغ هو الذي حوّل السيخ إلى مؤسسة عسكرية، وكان وراء العهد بين السيخ المسمى الخلسا (Khalsa)، وتسمَّى بها المخلصون للسيخية الذين تعاهدوا مع الغورو العاشر للدفاع عن دينهم وأنفسهم، ومع الخلسا التي بدأها بخمسة من السيخ بات الرجل السيخي يدعى سنغ (Singh) أي الأسد، والمرأة تدعى عندهم كير (Kaur) أي اللبوءة. وقد جمعت أدبيات غوبندسنغ وأضيفت إلى كتابهم السابق الذكر وسميت داسام غرانت (Dassam Granth).

وبفضل ما تركه غوبندسنغ استطاع خليفته بندابهادر تأسيس مملكة سيخية ضمت معظم إقليم البنجاب، وعاشت ثماني سنوات قبل أن يقضي عليها المغول ويعدموا بندابهادر مع سبعمائة من السيخ في دلهي عام ١٧١٦م.

تجدر الإشارة إلى أنه مع غوبندسنغ توقفت سلسلة المعلمين السيخ «الغورو»؛ وبات أتباع كتابهم وتشريعاته البديل عن الشخص القائد، وبات يسمى الزعيم عندهم مهراجا (Maharaja)، أي الحاكم العام، بدل الغورو.

عقيدة السيخ وأبرز تشريعاتهم وطقوسهم

لقد أسس ناناك السيخية انطلاقاً من مفهوم يقول بأنه لا يوجد فرق بين عقيدة المسلمين لجهة الإيمان بوحدانية الله تعالى، وعقيدة الهندوس في الإله فيشنو (Vishnu) الإله الحافظ.

«وعنده الإله واحد، هو ذلك الذي ينير الروح، هذا الإله الذي يحيط علمه بالملايين وليس له أعين، وهو الخالق لملايين الأشكال والأجسام وهو ليس متجسماً، وهو الغالب لكل ساحر ومشعوذ، وما من قلب منير إلا والنور الذي حلَّ فيه من مصدر واحد هو هذا الإله، فهذا الإله مفارق للمخلوقات كافة».

إن هذا المعتقد لا يبعد من الاعتقاد السليم بالله الواحد وتنزيهه عن الشبيه، وقد أشارت إلى هذا الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى/ ١١].

وعقيدتهم تقوم على إجلال وتقديس الإله غير المشخَّص، وهو الخالق للعالم والذي حوّل اللاكيف إلى حالة لها كيفياتها.

إن خلق العالم، حسب عقيدة السيخ، ضرورة يعرب من خلالها الخالق عن ذاته «مضى زمن لم يكن فيه سماء، ولا أرض ولا نهار ولا ليل، ولا شمس. والخالق كان في حالة تأمل عميق ولم يكن من موجود سواه تعالى... العالم جاء إلى الوجود بإرادة إلَهية. والإلَه المطلق تجلَّى وأعلن عن نفسه وعن قدرته من خلال مخلوقاته».

والغورو ناناك، أو من أتوا بعده، كانت لهم مكانة خاصة، ولكنهم لم يعطوا صفة تأله، فتنزيه الخالق أساس في عقيدتهم.

فلقد قالوا في كتابهم المقدس: «آدي غرانت»:

«لا يوجد إلا إله واحد

وليس كمثله شيء
ويوجد الغورو وهو معلم الكل
الثواني والدقائق والساعات والأيام والفصول
كلها نتيجة من المصدر الوحيد نفسه
وهو المصدر نفسه الذي خلق الشمس
وكل ما هو مخلوق صادر عن الإلّه».

ولا يركز السيخ على الطقوس والعبادات، والمطلوب عندهم أن يعيش الفرد حالة تؤهله كي يستحضر الإلّه في قلبه، وهذا يكون نتيجة التأمل واتباع الغورو الذي ينفرد وحده بالعصمة، واتباعه طريق الخلاص من الخطايا، يقولون:

«كل البشر الذين نعرفهم خطّاؤون
الغورو الحقيقي وحده لا يخطىء
إنه الزاهد الفعلي بكل جدارة».

وبعد توقف سلسلة «الغورو» مع الغورو العاشر، بات البديل للخلاص كتابهم المقدس «آدي غرانت» المتوافر في معابدهم.

وحسب معتقدهم، يأتي بعد كتاب: «آدي غرانت»، الكافات الخمسة وهي حسب اللغة السنسكريتية: Kanghà - Kesh - Kirpàn - Karà - Kaccha.

١ ـ الكيسا **(Kesh)**: وتعني الشَّعر الواجب أن يحافظ عليه السيخي الذي انتسب إلى الخلسا، فقص شعر اللحية والرأس

محرَّم، وهو أمر يتميَّز به السيخ وإن كانوا قد أخذوه عن رهبان وزهاد الهندوسية الذين ينتشرون في الجبال.

٢ ـ **مشط (Kanghà)**: والمشط يحمله كل هندوسي، وهو ضروري لتسريح شعر الرأس واللحية المتروك دون قص.

٣ ـ **الكاشا (Kaccha)**: سروال قصير لا يتجاوز الركبة، وهو في زي اللباس السيخي التقليدي، وهو أشبه ببنطال قصير (شورت).

٤ ـ **كارا (Karà)**: سوار فولاذ يحمله السيخي في معصم يده اليمنى، وهو عندهم أشبه ما يكون بتعويذة يظنون أنها تبعد الشر والأذى عنهم.

٥ ـ **كيربان (Kirpàn)**: خنجر من الفولاذ يتمنطق به السيخي، ويبدو أن هذا الخنجر ضروري لشخصية عسكرية تعتمد فلسفة القوة.

إن من لم يلتزم بهذه الكافات الخمسة يسمى عند السيخ باتِتُ (Patit)، أي المرتد.

السيخ يعتمدون نظام المعابد، والأول فيها المعبد الذهبي (Harimandir) الكائن في أمريستار، وبعده معابد يسمى الواحد منها غوردوارا؛ أي البوابة إلى الغورو، والسيخ لا يضعون صوراً أو رسوماً في معابدهم تشير للإلَه، وليس للمعابد عندهم اتجاه محدد معتمد، ومعابدهم مزيَّنة بما تزخر به الطبيعة من أزهار ونبات وطيور.

أما عبادتهم في الغوردوارا فتقوم على أن الداخل يتجه نحو موقع كتابهم المقدس ويلمس الأرض بجبهته ويقدم قرباناً، وبعدها تكون أناشيد عبارة عن فقرات من نصوص غرانت صاحب، ومن ثمَّ صلاة هي ابتهالات.

ولا وجود لنظام كهنوتي عند السيخ، وإنما الراشدون من الرجال والنساء هم الذين يقومون بإحياء الطقوس الدينية والشعائر، بما في ذلك أداء الترانيم والأناشيد والابتهالات في الصلاة وسائر المناسبات.

عندهم نوعان من الصلاة تتم على الشكل التالي:

«١ ـ التلاوة اليومية لفقرات معينة من كتاب المعلم غرانت صاحب، خصوصاً الجابجي (Japji) للمعلم ناناك، الذي ينبغي تلاوته من الذاكرة بعد النهوض من النوم والاغتسال مباشرة.

٢ ـ الطقوس اليومية للأسرة، رغم أنها ليست عامة على الإطلاق، فيتجمع كثير من الأسر كل صباح ومعهم نصوص المعلم غرانت صاحب، ويقرأون فقرات يتم اختيارها عشوائياً».

أما الحج عندهم فهو عبارة عن زيارة مكان ولادة الغورو المؤسس ناناك، وهي البلدة المسماة حالياً نانكاتا، وبعدها تكون زيارة المعبد الذهبي في أمريستار، إضافة إلى زيارة مواقع أخرى في البنجاب أقل قداسة عندهم ترتبط بالغورو العاشر غوبندسنغ، وهي: أناندبور ـ باتيلا ـ باتنا ـ نانداد.

ومن طقوس السيخ المأدبة الجماعية التي يقيمونها في

الأعياد والمناسبات الاحتفالية، و«هذا الواجب التضامني الإنساني يتحقق من خلال وجبة طعام مشتركة تعدُّ في المعبد، حيث هناك مطبخ وغرفة طعام خاصة ملحقة بالغوردوارا، والطعام يكون من الطحين والسكر والسمن المصفى المذاب واسمه كراه براسا (Karah Prassa)».

هذه الوجبة المشتركة في المعبد ترمز عندهم إلى أنهم سواء أمام الإلّه، وقد اعتمدوا هذه المسألة ليدحضوا ما تقول به الهندوسية وتعتمده في نظام الطبقات والتفاوت بين الناس.

أما الزواج فهو عند السيخ زواج ديني تتم مراسمه أمام كتابهم: «الغورو غرانت صاحب»، والمعتمد هو «إحضار الخاطبين أمام الغورو غرانت صاحب، ويرافق ذلك ترتيل أناشيد وترانيم مخصوصة، ويطلب من العروسين أن يقفا أثناء أداء الصلاة والموعظة ومراسم الزواج من قبل الشخص الذي يقود الاحتفال الزواجي، وبعدها يقوم العروسان، اللذان يصليان، بالانحناء أمام الغورو غرانت صاحب، وذلك إشارة إلى أنهما قرَّرا أن يتزوجا» بعدها يدور العروسان أربع مرات حول الغورو غرانت صاحب ترافقها ترانيم العرس، وبذلك يختتم الحفل.

وكذلك يحتفلون بالمولود الجديد واسمه يكون من خلال فتح كتاب «آدي غرانت»، واستناداً إلى الحرف الأول من الكلمة الأولى على الصفحة اليسرى.

وعند الوفاة هناك مراسم جنائزية يغلب عليها الطابع الهندوسي، ومن ذلك حرق الجثمان ورمي رماده في أحد الأنهار، ومنها نهر الغانج المقدس عند الهندوس.

نخلص إلى القول إن السيخية مزيج هندوسي - إسلامي، وفيه موروثات أخرى، ويصعب إرجاعها إلى مصدر واحد.

والسيخ في العالم يقربون من عشرين مليون نسمة، ويعد القسم الهندي من إقليم البنجاب موطنهم الأبرز، حيث كانوا ولا يزالون يسعون لحكم ذاتي تكون لهم من خلاله بعض الاستقلالية.

الفصل الثامن

الكونفوشيـة

المؤسس والأدبيات

الكونفوشية ديانة الأغلبية الساحقة من أهل الصين، ولا تنتشر خارجها، وكأنها ذات طابع قومي كحال الهندوسية في الهند والشنتوية في اليابان.

المؤسس (K'ung-Fu-Tzu) كونج ـ فو ـ دزه، وكونج بالصينية المعلم، وقد انتشر الاسم بلفظ كونفوشيوس، وقد ولد عام ٥٥١ ق.م، وكانت وفاته في العام ٤٧٩ ق.م. ومولده في مدينة تشو ـ فو وهي من مملكة لو (Lu)، وقد عاش فيها حياته كلها وتعرف اليوم باسم شان تونج.

ينحدر من أسرة أرستقراطية من سلالة «بين» التي حكمت البلاد إلى أن انتزعت منها سلالة «زهو» السلطة.

عمل بعد نضوجه مستشاراً لبعض الحكام في ولاية «لو (Lu)» ومن ثم تسلم مناصب في القضاء والحكم حتى أصبح الوزير الأول في «لو» سنة ٤٩٦ ق.م. لكن ذلك لم يشغله عن الفلسفة

والمشروع الإصلاحي الاجتماعي/السياسي الذي بدأه على شكل حوارات مع مريديه الذين أصبحوا بالآلاف، وفي أواخر سنوات عمره تفرَّغ لعمله التعليمي هذا، وكان على دراية بأهميته وأهمية دوره الإصلاحي، وقد نقل أحد تلامذته عنه إنه قال ذات صباح قبيل وفاته بقليل:

سيدكُّ الجبل الشاهق،

وتتحطَّم الكتلة القوية،

ويذبل الرجل الحكيم كما يذبل النبات.

لقد اعتمد كونفوشيوس الأسلوب السقراطي في التعليم، حيث اعتمد أسلوب المحاورة مع أتباعه الذين نقلوا عنه أقواله ومبادئه الإصلاحية، ومن ثمَّ قاموا بتدوينها. ولا بدَّ من تسجيل ملاحظة هي أن كونفوشيوس خرج عن المألوف الصيني ودوَّن بعض أفكاره، ذلك أن الصينيين لم يكونوا قبله قد اعتادوا التأليف الفردي، وكان التدوين عندهم لبعض الأمور الطقسية والشعائرية.

وقد تمحورت آثار كونفوشيوس في مجموعتين من تسعة كتب على الشكل التالي:

أ ـ الكتب الخمسة الكلاسيكية للكونفوشية: وهي منسوبة لكونفوشيوس ولكل واحد منها موضوع، وهي:

١ ـ كتاب الشعر أو الأغاني **Shihching**، وهو مجموعة من الأشعار يعود تاريخها إلى عهد تشو، وتتألف من ٣٥٠ أغنية،

وستة تواشيح تغنى بمصاحبة الموسيقى.

٢ ـ **كتاب التاريخ Shuching**، ويحوي تاريخ أباطرة الصين وملوكها، وكذلك وثائق مهمة من التاريخ الصيني، هذا بالإضافة إلى قصص تُظهر سمو الأخلاق والطباع في الصين منذ عهد ما قبل كونفوشيوس، ويتحدث عن مرحلة ما بين عامي (٢٠٠٠ ق.م إلى ٧٠٠ ق.م).

٣ ـ **كتاب التغيُّرات أو التحوُّل I-ching**، يحوي صيغاً سحرية وتعاويذ، وفيه نصوص تدور حول تفسير الظواهر الكونية والطبيعية تستخدم على نطاق واسع في العرافة، وينسب هذا العمل إلى وينج وانج (Weng Wang) (١١٠٠ ق.م)، ويتطرق هذا الكتاب إلى موضوع ما وراء الطبيعة الذي حرص كونفوشيوس ألاّ يقترب منه.

٤ ـ **كتاب الطقوس أو سجلُّ المراسم Lichi**، ويحوي وصفاً لطقوس الصينيين الدينية مضافاً إليها مجموعة من القواعد التي تنظم السلوك الاجتماعي، وكان كونفوشيوس يعتقد بأن هذه القواعد في آداب اللياقة والتعامل من الأسس الدقيقة التي تقوم عليها الأخلاق، وبها يكون الاستقرار الاجتماعي، وتشير بعض الدراسات إلى أن هذا الكتاب تمَّ وضعه بعد كونفوشيوس ولكن محتواه يعود إلى ما كان سائداً في عصور سابقة.

٥ ـ **كتاب الربيع والخريف Chunchiu** وهو سجلٌّ لوقائع الأحداث ومجريات الأمور في ولاية لو (Lu)، موطن كونفوشيوس،

والحقبة التي يؤرخ لها تقع ما بين العامين ٧٢٢ق.م و٤٦٤ق.م.

ب ـ الكتب الأربعة: وهي نصوص تنسب لكونفوشيوس، وقد يكون بعضها لتلامذته، وقد تمَّ تدوينها بعده مع بعض الشروحات، وتظهر فيها النزعة الفلسفية وهي:

١ ـ مختارات كونفوشيوس، «أو كتاب الأخلاق والسياسة (Lun Yu)، وهي مجموعة آراء ونصائح ومواقف لكونفوشيوس، قام تلامذته بجمعها وتنسيقها، وكلها تعاليم توجِّه الإنسان إلى قيم ترقى به باتجاه الكمال.

٢ ـ كتاب العلم العظيم (Ta Hsueh)، ويضمُّ أبرز تعاليم كونفوشيوس حول نظام الحكم، ويحوي هذا الكتاب ما قام به هسون تسو من تطوير لفكر كونفوشيوس.

٣ ـ عقيدة الوسط، تشونج يونج (Chung Yung)، وهو تعاليم حول ضرورة مراعاة الانسجام في الأمور كافة مع الابتعاد عن التطرف، وتدور موضوعاته حول تنظيم شؤون الحياة وتحقيق الانسجام.

٤ ـ كتاب منشيوس منج تسو (Meng Tzu)، ويحوي حكماً وأمثالاً عائدة لكونفوشيوس أو لبعض تلامذته، مع شروحات وحواشٍ وضعها منشيوس الذي يعدُّ من الشرَّاح الأوائل لفكر كونفوشيوس.

نخلص إلى القول: إن هذه الكتب التسعة لا تتدخل في مباحث الإلهيات (Theologie)، ولا تبحث في عملية الخلق أو

في موضوعات ما وراء الطبيعة، وتتجه بشكل أساسي إلى الواقع وأحداثه، إلى الإصلاح الأخلاقي والسياسي، كما أنها تحوي القواعد لإدارة المجتمع والحكم، وقد أكد ذلك سيرغي توكاريف حيث يقول: «فالشيء الرئيسي في تعاليم كونفوشيوس، هو أنها تعاليم عن قواعد السلوك، وعن الحياة السليمة، إنها منظومة أخلاق سياسية وذاتية، وكونفوشيوس بالذات قليلاً ما كان يصرف انتباهه نحو الأمور الميتافيزيقية... فاهتمامه الرئيسي كان موجهاً نحو الجانب العملي من مذهبه».

معتقدات الكونفوشية وطقوسها

كان كونفوشيوس يعتبر الدين والسياسة والأخلاق شيئاً واحداً، وكلمة «Li» التي كانت تعني عنده النظام الاجتماعي أصبحت تعني كذلك النظامين الديني والسياسي. وكونفوشيوس الذي حضَّ أتباعه على المحافظة على الموروث الصيني في الطقوس والشعائر، والذي كان يذكر الصلاة أو السماء في مواقف كثيرة، كان يتشدد في الاتجاه إلى الجانب العملي الحياتي، ومن كان يسأله سؤالاً دينياً بحتاً عن الخالق أو ما بعد الموت كان يجيبه إجابة سلبية، «ولما سأله كي ـ لو، عن خدمة الأرواح ـ أرواح الموتى ـ أجابه: إذا كنت عاجزاً عن خدمة الناس فكيف تستطيع أن تخدم أرواحهم؟ وسأله كي ـ لو: هل أجرؤ على أن أسألك عن الموت؟ فأجابه: إذا كنت لا تعرف الحياة فكيف يتسنى لك أن تعرف شيئاً عن الموت؟».

إن كونفوشيوس، الذي عاش في مجتمع ساده الاضطراب والفوضى السياسية، خصَّص جهده ومذهبه لإنقاذ المجتمع من هذه المعاناة، لهذا طغى الجانب الاجتماعي على ما عداه في الكونفوشية، لذلك يمكن القول: «إن الكونفوشية ليست نظاماً عقدياً أو فكرياً ذا اتجاه قطعي في أطروحاته، لأن مؤسس هذه الديانة لم يعمل على فرض نظرياته، ولا رغب في استغلال معاناة الناس وآلامهم، وإنما سعى بمنهجه العملي ذي الطابع الإنساني ليثبت أن للحياة معنى، وأن السعادة تكون بالعيش في مناخ الفضيلة واحترام القيم والاعتراف بها».

أعلن كونفوشيوس «بأنه ليس في الوجود سوى إلَه واحد قوي الإرادة هو السماء، وكان أول من صرَّح بوجود العناية الوحدانية بالصين عندما كانت الصين غارقة في ظلمات الوثنية. . . ولم يكن هو نفسه موضع عبادة أو تألُّه، ولم يرضَ بذلك، لأنه كان يعتبر الآلهة رموزاً لقوى الطبيعة وأرواح السلف، ليس أكثر».

إن العقيدة الكونفوشية أساسها أولاً عبادة السماء باعتبارها الإلَه الأعظم أو رب الأرباب، ثم عبادة الأرض لأن للأرض إلَهاً أيضاً، وبعد ذلك تقديس أرواح السلف على طريقة الشنتوية اليابانية، ومن ثمَّ عبادة الجبال والأنهار وسائر مظاهر الطبيعة باعتبارها مصادر النعمة والخير.

والإنسان هو الهدف وهو الأساس في مبادىء الكونفوشية،

وقد عبَّر عن ذلك هسون تسو (٣١٢ ق. م ـ ٢٣٨ ق. م) من خلال قوله التالي: «للماء والنار چيهيان (Chihi)؛ أي روحان رقيقان، لكن ليس لهما شينج (shêng) (حياة)؛ وللنباتات والأشجار شينج، ولكن ليس لهما چيه (Chih)؛ أي (إدراك)؛ وللطيور والحيوانات چيه لكن ليس لها (آي (i))؛ أي إدراك للعدل، أما الإنسان فله چيهي وشينج وچيه بالإضافة إلى آي، لذا فالإنسان أنبل الكائنات الأرضية».

وفي المعتقد الكونفوشي أن الكون في صيرورة دائمة وفي دينامية وتحول، وفي ذلك كان الطرفان: Yang و Yin)، الأول الـ (Yang) المضيء، الجبار، القاسي، والمذكر، والـ (Yin) المظلم البارد العذب والمؤنث. وهناك العناصر الخمسة التي كان منها الموجودات وهي: الأرض، الخشب، النار، المعدن والماء، وهذه العناصر تشكل محوراً مهماً في عباداتهم، لذلك ربطوا بها نظام القرابين: «وهذه العبادات الخمس كانت لها طقوس خاصة تختلف من عبادة لأخرى، كما كانت القرابين التي تُقدم في عبادة السماء غير تلك التي تقدم في حالة عبادة الأرض مثلاً، وعبادة هذه الأشياء الخمسة إنما كانت لأغراض نفعية خاصة بالإنسانية».

فعبادة السماء أو رب الأرباب تقرب منه ليقوم كل إلّه من الآلهة المنتشرة في الأرض والسماء بما هو موكل لها، وعبادة الأرض تحفز إلّه الأرض على إنماء النبات، وعبادة أرواح

الأسلاف تؤكد الصلة بين السلف والخلف وبين الآباء والأبناء، وأما تقديم القرابين الخمسة فالهدف منها تخليد أصل الصناعات والحرف البشرية التي تستخدم العناصر الخمسة: الأرض، الخشب، النار، المعدن والماء.

لقد آمن الكونفوشيوس، إذن، بإرادة عامة تخلق وتسيِّر المخلوقات هي السماء، بعدها تحلُّ في المرتبة الثانية عبادة الأسلاف، وقد جعلت هذه العبادة خصوصية عائلية، فكان بسبب ذلك لكل عائلة معبد خاص «اليجودة»؛ «إن عبادة الأسلاف هذه أضحت القسم المكوّن الرئيسي للمعتقدات والطقوس الصينية، فكان لكل عائلة معبدها العائلي الخاص أو مصلاَّها، حيث تقام فيه طقوس العبادة العائلية في وقت محدد، ولكل سلالة (شي) معبدها العشائري للأسلاف (مياو ـ أوتزون ـ مياو). . . وإن لكل مجموعة عشائرية أكثر كبراً سين (عائلة) كان لها معبد بدورها مكرَّس لأول رئيس عام للعائلة، أما القرابين والصلوات في هذه المعابد فكان يقيمها إما رأس العائلة أو الأكبر سناً في العشيرة».

للكونفوشية مواسمها التعبدية المرتبطة بالأسلاف، ففي أواسط كل شهر من أربعة شهور من السنة مثلاً ينبغي تقديم قربان عائلي. وما يجري عندهم هو أن يتقدم رب العائلة من معبد الأسلاف، ويجثو على ركبتيه أمام لوحات يخرجونها من خزائن تكون محفوظة في داخلها ويتلو النص التالي:

«أنا العابد الحفيد، فلان الفلاني، اليوم وبمناسبة حلول أواسط الفصل كذا، أود تقديم قربان لكم، أيها المرحومون، إلى القريب والجدِّ، وجدِّ الجدِّ، وجدِّ جدِّ الجدِّ، وإلى القريبة، الجدَّة، وجدَّة الجدَّة، وجدَّة جدَّة الجدَّة، وأملك الجرأة لنقل لوحكم الخشبي إلى قاعة المنزل لأدعو أرواحكم لتنعم هناك بقبول القرابين التي ستقدَّم مع فائق التبجيل».

ترتبط طقوسهم بالأسلاف وعبادة السماء، ولأجل ذلك تنتشر هياكلهم بشكل واسع، ومن أقدمها الپجودة القائمة في سونج إيورسو والتي شيِّدت عام ٥٢٣ م على جبل سونج شان المقدس في هونان، ومنها پجودة اليشب في بيجنج، وپجودة المزادة في وورواي ـ شان. . . الخ.

والهياكل بيوت الأصنام (الپجودات) المنتشرة في الصين والمرتبطة بعبادة السماء والأسلاف لا تخلو من مظاهر التقديس لكونفوشيوس. ولا يبعد كونفوشيوس عن عقيدة الشنتو في اليابان لجهة تقدير الحكام الأباطرة.

ويؤمن كونفوشيوس بانتظام كوني، والحكيم هو من يسلِّم به، وهو يشكل جبرية لا انفكاك منها، ويقول بهذا الصدد: «كل شيء يجري كما تجري هذه المياه، لا شيء يتوقف، لا النهار ولا الليل، من لا يعرف إرادة السماء لا يصبح حكيماً».

إن الكونفوشية انتهت ديناً، كما الديانات الوضعية، وهي تعبير عن تراث الصين وحضارتها إلى حد كبير، رغم أن المؤسس

كان يريدها مشروعاً للإصلاح الاجتماعي ـ السياسي ـ الأخلاقي.

من قواعد السياسة والأخلاق الكونفوشية

تركز الجهد الأساسي لكونفوشيوس على الإصلاح والسعي لبناء مجتمع تتحقق فيه سعادة الإنسان، ويكون ذلك ببناء المجتمع على أسس التوادد والتراحم بين الناس على مختلف المستويات. بهذه الطريقة «أصبح الولاء البنوي يعني خدمة الوالدين أثناء حياتهما، ومن ثمَّ اكتملت العلاقات الخمس لتعاليم كونفوشيوس، وهي: علاقة الأمير بالرعية، وعلاقة الابن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الصديق بصديقه».

هذه العلاقات تؤدي إلى الاستقرار وإلى سياسة سليمة تقترن بالأخلاق، «فالسياسة والأخلاق، في نظر أصحاب هذا المذهب، ليسا إلا شيئاً واحداً، وهما يستهدفان تحقيق غرض واحد، وهو إقامة نظام اجتماعي متين مستقر».

هذا الأمر يحتاج أن يكون الحاكم متمتعاً بأمرين هما:

١ ـ التأهيل العلمي الأكاديمي.

٢ ـ المستوى الرفيع من الخلق.

لهذا «أيَّد كونفوشيوس فكرة التعليم الشامل، ونادى بأن المناصب الدبلوماسية والإدارية يجب أن يتولاَّها أفضل المؤهلين من الناحية الأكاديمية لا من الناحية الاجتماعية».

لكنه، مع التعليم والتأهيل المعرفي، طلب أن يكون الحاكم والمسؤول متميزاً بالاستقامة والأخلاق، فإن مصلحة الناس، ومعالجة الفساد لا تتم إلا «إذا كان أعضاء الحكومة ممن يتميَّزون بأقصى قدر من الاستقامة الشخصية، ويتفهَّمون احتياجات الناس ويهتمون بمصالحهم وسعادتهم قدر اهتمامهم بأنفسهم».

ومما قاله كونفوشيوس مخاطباً الحاكم القدوة: «حكم أو قيادة الناس، هو جعلهم يتبعون الصراط المستقيم، إذا أنت نفسك، أيها الملك (الحاكم)، مشيت في مقدمتهم على الطريق المستقيم، من يجرؤ ألاّ يتْبعك».

إن مبادىء ثلاثة تحقق الاستقامة هي: مبدأ «جين»، أي المبادىء الأخلاقية التي تحقق كمال الإنسانية، ومبدأ «لي (Li)»، أي الاستقامة، ومبدأ «هسياو» أي الولاء للأسلاف. بهذه المبادىء الثلاثة يسود الصلاح ويستقر المجتمع.

أما في إطار واجبات الحاكم والحكومة فإنه يقول: «إن مهمة الحكومة التأكد من وجود الوفرة المادية والروحية، وإن الناس يتصرفون على نحو أخلاقي، وذلك لكي يتحقق السلام... إن الوسائل الواضحة للوصول إلى الوفرة المادية والروحية هي إصدار القوانين وجمع الضرائب، وبناء المدارس والمعابد والمتاحف وتنظيم العمل والإنتاج بحيث يتمُّ إنتاج ما يكفي، ويحصل كل شخص على نصيبه من الإنتاج».

إنها فلسفة سياسية/ اقتصادية/ اجتماعية إصلاحية، ولا غرابة فكونفوشيوس طرح نفسه مصلحاً، ولم يدّعِ أنه مؤسس ديانة.

قبل أن ننتقل من خصائص شخصية الحاكم، من المفيد أن نذكر جملة قواعد حدَّدها كونفوشيوس للحاكم، وتصلح كمرتكزات لفلسفة الحكم هي:

«١ ـ أن يتعلم قواعد الأخلاق الشخصية.

٢ ـ أن يحترم الأفراد الجديرين باحترامه.

٣ ـ أن يتودَّد إلى من تربطه بهم صلة قربى، وأن يقوم بالتزاماته الرسمية إزاءهم كاملة،

٤ ـ أن يجلَّ وزراء ولايته أو أمبراطوريته.

٥ ـ أن يعامل موظفي دولته بالحسنى.

٦ ـ أن يجعل من الصالح العام والرفاهية الاجتماعية صالحه الشخصي، ورفاهيته الشخصية، وأن يجعل من نفسه أباً للشعب، أو الأفراد الذين يقوم بحكمهم.

٧ ـ أن يعمل على تشجيع الفنون النافعة والنهوض بها.

٨ ـ أن يعطف على رعايا الدول الأخرى الذين يقيمون في دولته.

٩ ـ أن يهتم برفاهية أمراء الأمبراطورية».

الإنسان، عند كونفوشيوس، مولود بطبيعة خيِّرة، والتعليم مهمته أن يزيل ما علق بها من أدران الشر، ولهذا يحدد منهجاً

تربوياً للإصلاح يتدرج من الفرد إلى المجتمع، عماده إصلاح النفس وتحصيل المعرفة. يقول: «إن القدامى الذين أرادوا أن ينشروا أرقى الفضائل في أنحاء الأمبراطورية قد بدأوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم، ولما أرادوا أن يحسنوا تنظيم ولاياتهم بدأوا بتنظيم أسرهم، ولما أرادوا تنظيم أسرهم بدأوا بتهذيب نفوسهم، ولما أرادوا أن يهذبوا نفوسهم بدأوا بتطهير قلوبهم، ولما أرادوا أن يطهروا قلوبهم عملوا أولاً على أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم، ولما أرادوا أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم بدأوا بتوسيع معارفهم إلى أبعد حدٍّ مستطاع، وهذا التوسُّع بالمعارف لا يكون إلا بالبحث عن حقائق الأشياء».

بعد تطهير القلوب وإصلاح النفوس وتحصيل المعرفة يحدِّد كونفوشيوس قواعد مسلكية للفرد غير بعيدة من جوهر الدين الحق، ومما يوجه إليه ما يلي: «في المنزل على الشاب أن يحترم أهله، وخارج المنزل يجب أن يحترم الأكبر منه، يجب أن يتكلم قليلاً ولكن بصدق، يجب أن يحب كل الناس، لكن عليه ألاّ يتصل إلا بالأشخاص الصالحين والشجعان، وعندما تترك له واجباته بعض الفراغ عليه أن يخصص هذا الوقت لدراسة المعارف الجيِّدة والمفيدة».

ويطالب كونفوشيوس أتباعه بالعمل بروح جماعية، والتدرب على ذلك مع الاعتدال والتوسط في السلوك وفي الطقوس والشعائر، وأن يقترن أداء ذلك بنوايا حسنة، ويشير

إلى أن الإنسان الفاضل هو الذي يقدم إنسانيته لا إشباع حاجته ومطالبه المادية، ويقول في هذا الباب: «إن الإنسان الكريم والفاضل لا يسعى لتوفير حاجاته ومقومات حياته وصموده على حساب إنسانيته، وإنما الإنسان الفاضل هو من يكون مستعدّاً للتضحية بحياته من أجل حفظ إنسانيته».

تبدأ المشكلة حين يصل كونفوشيوس في حديثه عن المرأة حيث نجده يحدُّ من شأنها ويعدُّها مصدر غواية. وليثبت نظريته سعى إلى اختبار عندما دعا ثمانين من الفتيات الجميلات في موطنه لو (Lu)، وتركهن يرقصن أمام حاكم لو (Lu) ومعاونيه، ولما حاول كونفوشيوس وتلميذه تسيلو أن يحوّلا أنظار الحكام عن الفتيات إلى موضوع آخر لم يفلحا، وقد خلص من ذلك إلى القول:

«إحذر لسان المرأة

إنك ستُلدغ منه إن عاجلاً وإن آجلاً

واحذر زيارة المرأة

إنها ستصيبك إن عاجلاً وإن آجلاً».

إن دعوة كونفوشيوس الإصلاحية في السياسة والحكم والأخلاق كانت تحوي إيجابيات كثيرة إلا أن ما يؤخذ عليه هو موقفه السلبي من المرأة، والذي لا يختلف عن سائر المفاهيم السائدة في البلدان المجاورة للصين ومذاهبها كالهندوسية والبوذية والشنتوية.

الفصل التاسع

الشنتوية

تمهيد

الشنتوية ديانة اليابان القومية، وأدبياتها نتاج تراكم معرفي كحالة الهندوسية في الهند، ولا تنسب الشنتوية لشخص بعينه على أنه مؤسسها.

الشنتو كلمة من مقطعين: (Shen-Toa). شين: تعني إلّه أو روح، وتاو: تعني طريق، ومعناها الكامل إذن: طريق الإلّه.

وفي اليابانية أيضاً تعبير آخر يفيد المعنى نفسه (Kami-No-Michi) «كامي ـ نو ـ ميتشي» ومعناها بالعربية: طريق الآلهة.

تنطلق عقيدة الشنتو من عبادة الشمس التي تحتل مكان الصدارة في معبودات الشنتو حتى أن اسم اليابان مشتق من اسم الشمس، فلقد أطلق قدماء المهاجرين إلى اليابان من مناطق آسيوية اسم: نيبون؛ أي بلد الشمس، والدافع إلى ذلك الاعتقاد بأن الشمس تشرق من خلف جبال اليابان على جزر اليابان أولاً، ومن ثمَّ ينتشر نورها من ذلك الموقع على سائر أنحاء العالم.

واليابانيون حالياً يطلقون على جزرهم اسم: نيبون تيكولا؛ أي بلد الشمس المشرقة. والصينيون المجاورون لليابان كانوا يسمونها: «جيم بن كو»؛ أي البلاد التي تشرق منها الشمس، وماركو بولو كان يسميها: زابانغو؛ ومن ثمَّ اقتصرت التسمية على «زاپّان»، وحوِّر الاسم إلى «جابّان»، وفي اللغات السلافية تقلب الجيم ياء، ومن ذلك نتج الاسم المعتمد: اليابان.

إن ارتباط اسم اليابان تاريخياً بالشمس وعبادتها في ديانة الشنتو يدلِّل على أن هذه الديانة في اليابان هي تراث، ومسيرة تاريخية، كما أن حضارة اليابان ارتبطت بها. ومع أن البوذية قد دخلت اليابان مبكراً واعتنقها، أو اعتنق بعض ما جاء فيها، معظم اليابانيين إلاَّ أنها بوذية ممزوجة بالشنتوية، لا بل الشنتوية بمعتقداتها هي الغالبة عليها، والأمر لا يزال كذلك حتى يومنا هذا.

عقيدة الشنتو

لم تعرف الشنتوية عقيدة التوحيد، ولا هي نحت المنحى العقلاني، بل كانت تنطلق من أساطير تبرِّر من خلالها ما تذهب إليه. ونستطيع أن نجمل أسس عقيدتهم بالمقالة التالية:

إن عقيدة الشنتو تقوم على الإيمان بآلهة عديدين لهم علاقة بكل مظهر من مظاهر الطبيعة، حيث يعتقدون بقداسة كل شيء، من الكواكب إلى الأنهار إلى الأسلاف والأجداد، إلى الأباطرة، إلى سائر ما في الطبيعة من كائنات، دون أن يسقطوا عبادة

الشمس من المقام الأول، وبذلك لا يكون للشنتو معبود واحد يعتقدون به، إلا أنَّهم يذهبون في كل ما يقدسونه من مظاهر باتجاه رابط هو الكامي (Kami)، فبواسطته تتمُّ كل الأشياء.

وتعبير كامي يزيد الأمر غموضاً في عقيدتهم، وإذا كانت الكلمة تترجم أحياناً بإلَه أو آلهة، إلى أنها غامضة الدلالة، والأفضل أن تستخدم بحرفيتها دون ترجمة أو تفسير، وهي تعني عندهم كذلك ما هو فوق أو ما هو أعلى، وقد أقرَّ أحد علماء الشنتوية «مونوري نورينجا»، في القرن الثامن عشر، بعجزه عن فهم أو تحديد معنى الـ«كامي»، لكن رغم ذلك فإن الـ«كامي» يشكل المحور الرئيسي في عقيدتهم، وهو صورة فوق طبيعية، وله قدرات غير اعتيادية ولا محدودة يظهر تأثيرها في كل مظهر من مظاهر الطبيعة من أدناها إلى أعلاها.

وفي عقيدتهم المرتبطة بالشمس وإشراقها، حيث جعلوا الصنم الأول «اماتيراسُ» (Amaterasu) لها، فسروا كذلك من خلالها تعاقب النهار والليل، وأسطورتهم تنص بأن الشمس أماتيراسو ـ أومي ـ كامي، كان لها أخ ذكر يدعى: سوسا ـ نو ـ وو قام في أحد الأيام بأعمال فوضوية أفزعت صنمه المقدس ففزع واختفى في غار في السماء، ولهذا تظلم الدنيا ويكون الليل.

أما عملية الخلق، حسب أساطيرهم في كتابهم المقدس «كوجيكي»، فإنها تتلخص فيما يلي: يزعمون أن أول الموجودات

كان ولد آلهة في السماء هم: الإله المولى مركز السماء المهيب، ثم بعدها كان وجود إلَه الإنتاج الأعلى المهيب، وأخيراً كان إلَه الولادات الإلَهية. هذا الثالوث من الآلهة له عندهم صور جسدية، فهؤلاء الآلهة كانوا عازبين وقد حجبوا أجسادهم عن الأنظار، وقد نسبوا إلى هذه الآلهة المهابة والإنتاج والولادات، وهي الأمور الأساسية في الخلق والسلطان.

بعدهم كان إلهان من الأرض هما: الإلَه الأمير الرضي، والإله المقيم أبداً في السماء، ومعهما اكتمل عقد الآلهة الخمسة السماويين الذين يتميَّزون عن الآلهة الآخرى التي يقولون بها.

بعد ذلك كان إلهان آخران عازبين ومحجوبين عن الأنظار كالخمسة السابقين هما: الإلَه المقيم أبداً في الأرض، والإلَه حقل الغيوم الوافرة. بعد ذلك يأتي دور الآلهة المتزاوجين، وحسب أسطورة الـ «كوجيكي» يولد إلَه الطين وزوجته إلهة السيف، وبعدهما الإلَه الوتد الصلد وزوجته الإلَهة الوتد الهائج، ومن ثم يولد الإلَه الذكر الهيكل الكبير، وزوجته الآلهة الأنثى الهيكل الكبير، ويأتي دور ولادة الإلَه الهيئة الناضجة وزوجته الإلَهة المعشوق، ويكون أخيراً من منِّهما كان الأباطرة، وهما إلَهان تبادلا الغواية، وهذان الإلَهان هما: إيزاناكي فوكامي وزوجته إيزانامي فوكامي، وإليهما أُسندت مسألة التكاثر والخلق والتوالد، ومن عملهما كانت الجزر اليابانية، حسب الأسطورة.

حسب أساطيرهم، كل ما في اليابان مولود إلَهي: الجزر،

الجبال، البحار، مظاهر الطبيعة (السهول، الجبال، النباتات، الأشجار)، وكذلك الحكام الأباطرة المنحدرين من سلالة أماتيراسُ، وبعدهم الشعب الياباني عموماً الذي يعدُّونه مميَّزاً ومتميِّزاً على سائر الشعوب والأمم.

وعند اليابانيين تعبير «أون أوشيرو (On-O-Shiro)»، وأون تعني الامتنان، وقد عُلِّم اليابانيون أن يؤمنوا بأنهم مدينون بحياتهم وسعادتهم ورفاهيتهم لـ «شي ـ أون (Shi-On)»؛ أي نِعم المحسنين الأربعة، والمحسنون الأربعة هم: السماء والأرض، والوالدان، والحاكم، والشوجو «(Shujo)» «جميع الكائنات الحساسة التي تشمل الحيوانات، والطيور، والنبات... الخ، والإنسان أيضاً).

ويقول سازو إيديميتسو: «ولم يسعْ أسلافنا إلا أن يعترفوا بجميل «التينو (Tinno)»، وأن يكونوا ممتنين له، للحماية والعناية اللتين منحهم إياها، ولم يسعهم إلا أن يشعروا بالامتنان للبيئة السليمة التي وفَّرتها فضائل العائلة الأمبراطورية. كانوا يعلمون أنهم مدينون بحياتهم ورفاهيتهم لنعمة «التينو (Tinno)»، ونعمة المجتمع، ونعمة الأجداد، وليس نعمة المخلوقات المجانسة وحسب بل وجميع الكائنات الحساسة».

العقيدة عندهم إذن فيها: «كامي» وهو روح أو قوة تسيطر على الأشياء والبشر، ولا حدود لعدد الكامي في ديانة الشنتو، وفيها أون (On) رمز الإحساس والمحسنين، وفيها «تينُّو (Tinno) وهي ترمز إلى العلاقة مع الأصنام الهياكل القائمة للمعبودات أو

الآلهة المتعددة، وعلى فعل وإحسان الأمبراطور.

يقيم الشنتو المعابد والهياكل والأصنام والتماثيل لمعبوداتهم، وتقترن عقيدتهم مع موقف أخلاقي حازم لجهة التقديس والطقوس، والطهارة الطقسية تكون بتمكين الإنسان من إقامة علاقة مع الـ «كامي».

لا تقر عقيدة الشنتو بحياة أخروية، بل إن دينهم دين أرضي التوجهات لا يهتم أتباعه بما بعد الموت.

الطقوس والهياكل عند الشنتو

لم تطالب ديانة الشنتو أتباعها بعبادات وطقوس معقدة أو متنوعة، لذلك نجدها قد استقبلت كل وافد ثقافي ومزجته مع مفاهيمها، خاصة البوذية، لهذا قيل: «إن مذهب الشنتو ما هو إلا عادات اجتماعية يابانية تقليدية ومتوارثة عبر الأجيال... إن الشنتو هي أسلوب حياة يعيشها اليابانيون».

الهياكل تحتل مكانة أساسية في الشنتوية، وأهمها عندهم الهيكل المعد لعبادة إلّهة الشمس (أماتيراسُ) ويحج إليه الشنتويون سنوياً، وهو في مدينة «آيس (Ise)»، وقد تمَّ بناؤه في القرن الثالث الميلادي، ويتألف من هيكل داخلي مخصص لعبادة إلّهة الشمس وللجد الأول للأسرة الأمبراطورية، وقد أضيف إليه هيكل خارجي تمَّ بناؤه في القرن الخامس الميلادي، وهو أقل مكانة من الأول، ويخصصونه لعبادة الإلّهة «تويوك ميكامي» وهي إلهة الزراعة.

ومن هياكلهم المهمة هيكل «تيشا (Taisha)» في «إزومو (Izumo)» ويحمل اسم عشيرة إزومو، وإزومو كانت سوقاً تجارية رئيسية للمنتجات الزراعية، وفي الشمال الغربي من تيشا تقع هياكل قديمة لا يزال يقصدها الزائرون الشنتو على مدار أيام السنة.

وهناك هياكل كثيرة تنتشر هنا وهناك، ومنها ما هو حديث كهيكل «ياسوكوني» في طوكيو الذي أقيم لأرواح العسكريين الذي ماتوا دفاعاً عن اليابان، وهيكل ميجي الضخم في طوكيو كذلك، والذي خُصص لأول أمبراطور معاصر جدَّد الشنتوية.

والهياكل الشنتوية يكون اتجاهها نحو الجنوب أو الشرق، ولا تكون باتجاه الغرب أو الشمال لأنهما اتجاهان غير محظوظين عندهم، ويضعون على مدخل الهيكل حارسين، هما كلبان كوريان باستثناء هياكل الإناري (Inari) التي يخصصونها لـ «كامي» حقول الأرز، فهياكل الإناري يحرسها تمثال ثعلب لاعتقادهم أن الثعلب هو رسول الـ «كامي»، وهذه الهياكل مهمة عندهم، فالإناري إلَه العطاء ويحمي الزراعة، خاصة الأرز الذي يشكل مادة رئيسة في غذائهم.

وطقوس الشنتو بسيطة منذ القدم، ولم تكن تتطلب مبانٍ خاصة، لذلك تأخر بناء الهياكل نسبياً، وكانت تؤدَّى تحت شجرة ساكاكي (Sakaki) المقدسة عندهم، وهي حالياً موجودة داخل كل هيكل. في معابدهم يكررون لفظي: «كامي جاكاري (Kami Gakari)» و«كانجاكاري (Kanagakari)» وهم يتراقصون

مع الوجد معتقدين أن ذلك يؤدي بهم إلى التوحد مع الـ «كامي»، وهذا ما ينشدونه، وطقوسهم هذه تؤدى بشكل فردي أو جماعي.

لا طبقة كهنوت عند الشنتو، ولا حديث في ديانتهم عن خلود للنفس أو حياة أخروية، وما تطالب به الشنتوية أتباعها أن يقدِّروا أسلافهم وأن يحجوا إلى قبورهم حيناً بعد آخر مقدمين ابتهالات الضراعة والخشوع، وأن يفعلوا الأمر نفسه مع أباطرتهم.

ومن الأدوات المستخدمة عندهم في العبادة المرآة بوصفها العاكس لنور الشمس، وكذلك يستخدمون السيف والسبَّحة.

أما زيارة الهياكل فلها آلية محددة، فالزائر يسير على قدميه حافياً بمجرد تخطيه بوابة الهيكل الرئيسية، ولا بد له من أن يغسل يديه وفمه من ماء نبع طبيعي في مجمع الهيكل، أو من حوض محفور في الصخر، ويتم ذلك بآنية متوافرة في الهيكل، ثم يحني رأسه إجلالاً مقدماً توسلاته، ومن الجائز أن تُكتب التوسلات على ورق، وتعلَّق على إحدى أشجار السكاكي المقدسة.

وعباداتهم الرسمية تحوي أربعة عناصر هي:

١ ـ فعل التطهر (هاراي (Harai)) وهو بالإضافة إلى الاغتسال، تلويح أحدهم بفرع شجرة السكاكي أو بورقة منها على رأس المتعبد.

٢ ـ القربان (شينسن (Shinsen)) ويكون من الحبوب أو التراب، وقد جرت العادة هذه الأيام أن يكون من المال.

٣ ـ طقوس الصلاة والابتهالات (Norito).

٤ ـ الوليمة الرمزية (Neorai)، وترمز إلى تناول الطعام مع الـ«كامي»، وقد تشمل الوليمة رشف قطرات من خمر الأرز «ميكي» المقدس.

ويركز الشنتو في صلاتهم على ابتهالات تدور غالباً حول مطالب دنيوية، ومن النماذج على ذلك النص التالي.

«أولاً، وقبل كل شيء، هناك في حقلك المقدس أيها الإلّه المهيمن،

ليت حبة الأرز الأخيرة التي سيحصدونها،

ليت الحبة الأخيرة من الأرز التي ستحصد،

بحبات العرق المتساقط من سواعدهم

وتُشدُّ مع الوحل العالقين بالفخذين

ليت هذه الحبة تزدهر بفضلك

وتتفتح سنابل الأرز التي تتوق إليها الأيدي الكثيرة،

فتكون أولى الثمرات في الشراب وإعداد النبات».

بالإضافة إلى المعابد يؤدي الشنتوي صلاته، صباحاً ومساء، في هيكل المنزل نفسه، فبعد الاغتسال ينحني أمام الهيكل مصفقاً بيديه مرتين، ثم ينحني بصمت، وبعدها تكون الابتهالات.

ومن باب نقد الأسلاف يوجد عندهم طقس سنوي يسمونه (Obon)؛ أي يوم أرواح الأهل، ويتم على الشكل التالي: «في

شهر يوليو من كل عام. . . يسافر الناس إلى قراهم وموطنهم الأصلي ليحضروا هذا الاحتفال، ويسمى يوم أرواح الأهل. يعتقد اليابانيون أن أرواح أقاربهم الموتى تعود في هذه الفترة إلى منازلها الأرضية حيث يستقبلها الأهل بالترحاب والاحتفالات.

تضع الأسرة شعلة صغيرة من النيران في مدخل البيت من الخارج، وتقدم الهبات إلى نموذج المعبد المقام داخل المنزل، والهبات عادة تكون بعضاً من ثمرات فاكهة الموسم مع البخور. يؤمن اليابانيون أن أرواح الأهل تسترشد بالشعلة، وتدخل المنزل وتحيط بالمعبد الصغير المنزلي، وبهم، لتباركهم وتعيش معهم هذه الفترة، وبعد يومين يعاد إيقاد الشعلة خارج المنزل لتعرف الأرواح طريق العودة إلى مقرها الدائم».

وعند الشنتو محطات سنوية يحتفلون بها على شكل أعياد هي:

١ ـ في ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر، يكون يوم الاحتفال للكامي، حيث يترافق ذلك مع أوائل جني محاصيل الأرز.

٢ ـ في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر، يحجون إلى معبد آيس (Ise)، حيث يتقربون للكامي من أجل الأسلاف وعبادة إلّهة الشمس أماتيراسُ.

٣ ـ عيد النار، وفيه يزورون هيكل أو معبد (Kumano Nuchi).

٤ ـ عيد كامي الماء، وفيه يزورون هيكل (Suijin Matsuri).

من ثقافة الشنتو ومفاهيمهم

اليابان التي كانت معزولة عن العالم حتى زمن غير بعيد، والتي قامت عقيدتها على عبادة إلٓهة الشمس (أماتيراسُ)، وتقديس الأسلاف وتقديس العائلة الأمبراطورية التي انحدرت من حفيد أماتيراسُ الذي نزل من السماء ليمارس السلطة في اليابان، امتاز شعبها بإحساسه بالتفوق على سائر الشعوب، وقد تولَّدت عنده، بسبب ذلك، نزعة المقاومة مع روح الجدِّية في العمل لتحقيق إنجازات تثبت هذا التفوق. هذا ما يفسر لنا لماذا بقيت اليابان عصيَّة لم يدخلها محتلٌّ إلا عند هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، وعند هذا الموقف لم يستخدم اليابانيون إطلاقاً «كلمة تسليم أو استسلام أو كلمة جيش الاحتلال، لا في الوثائف الرسمية، ولا في جرائدهم ومجلاتهم، واستخدم اليابانيون جملة: انتهاء الحرب، بدلاً من التسليم، وجملة الجيش الذي عسكر في قاعدة متقدمة، بدلاً من جيش الاحتلال». وقد خطب الأمبراطور قائلاً: «من الحكمة أن نتحمل ما لا يمكن احتماله، فإن ذلك أفضل من سفك المزيد من الدماء».

وقد أسهمت في تجديد هذه الروح المقاومة ثورة التجديد في الشنتوية مع الأمبراطور ميجي (١٨٦٧ ـ ١٩١٢ م) حيث أصبحت الشنتوية وجه العملة الآخر للوطنية اليابانية، والقصر الأمبراطوري والهيكل الشنتوي لهما مكانة واحدة.

يمقت اليابانيون الفردية، ويرون بأن أي قرار لا يصح أن «يصدر عن شخص واحد، وإنما ينبغي أن يصدر عن أغلبية الأصوات، وبعد مشاورات جماعية، أو من خلال لجنة عمل مكونة من فريق»، ويعتبر اتخاذ القرارات بالإجماع هدفاً بذاته، وإذا حصل ذلك وبالمقابل تمسَّك شخص برأيه المعارض، فإن مثل هذا الموقف يكون محل استياء شديد عندهم، وهم بذلك نقيض ما يسود في مجتمعات الغرب من روح فردية.

والطفل في اليابان ينشأ على روح الانخراط في جماعة، ويدرَّب على قبول سلطة المجتمع عليه، ويخاف النبذ الاجتماعي «وبهذا الأسلوب التربوي ينتقل الطفل من واقعه الطبيعي في سنوات عمره الأولى إلى قبوله السلطة الأبوية، ثمَّ سلطة المدرسة الصارمة، بسهولة تثير الدهشة، بعدها يجيء قبوله وتسليمه بما تصدره الجماعة التي ينتمي إليها من أحكام، أو من المجتمع ككل». وأقسى أنواع العقوبات للطفل أن يُقاطع من قبل الآخرين، وكذلك الكبير الذي يقاطعه أهل قريته، وهي عقوبة معروفة منذ القدم عندهم باسم «مورا هاشيبو (Mura Hachibu)» ومعناها الحكم بالنفي إلى جزيرة أو إقليم بعيد.

هذا ما ولَّد وحدة وطنية متماسكة في اليابان بحيث لم يسجل التاريخ حرباً أهلية داخلية بين اليابانيين.

الياباني يستثمر الوقت بشكل جيد، حتى أن الأسرة اليابانية، والمرأة خاصة، لا يرضيها أن يعود ربُّ الأسرة إلى المنزل قبل

سواه، فذلك يعني أنه أقل أهمية من غيره، والتعليم في اليابان يلتزم هذا الاتجاه، حيث أيام الدراسة ٢٤٠ يوماً مقابل ١٨٠ يوماً عند الأمريكي، و ١٥٠ إلى ١٦٠ يوماً في لبنان.

النجاح مطلب في ثقافة اليابان الوطنية ـ ثقافة الشنتو ـ وأمام أية حالة فشل يكون الانتحار هو الحل. فالأم التي رسب ابنها في امتحان قد تنتحر لأنها تعتبر نفسها مسؤولة عن فشله، والأب الذي أساء لأسرته بإدمان أو مفسدة قد ينتحر تعبيراً عن الاعتذار والتوبة، والتلميذ الذي يرسب قد ينتحر، وما كان ليحصل هذا التشدد في معاقبة النفس إلا لأن الياباني، وفق ثقافته، يرى أن النجاح يجب أن يكون حليفه، كما أنه يصعب عليه السكوت عن أي فشل أو عار أو رذيلة.

أما بالنسبة لموقع المرأة من الرجل، فإن ثقافة اليابان تقدم الرجل، ففي نصوص كتابهم الـ «كوجيكي»: «ليس حسناً أنَّ المرأة تكلمت أولاً».

وللصبي امتيازات عندهم من خلال عبادة الأسلاف لأنه لا يمكن أن يقوم به إلا الأبناء والأحفاد الذكور. والرجل الياباني يعطي معظم وقته لعمله وما يتبعه من أنشطة، وقد أعطى ذلك زخماً لنهضة اليابان الحديثة. أما الواجبات المنزلية ورعاية الأولاد وتحسين الخدمات في الحي السكني فكل ذلك من مسؤوليات المرأة.

والتضامن الأسروي هو السمة المميِّزة للمجتمع الياباني،

ومن ذلك أن الأبناء يحرصون على تكريم آبائهم وإسكانهم معهم في منزل واحد، هذا التضامن «يساعد، بقدر كبير، في استقرار حياة الأسرة والأفراد، وعلى سبيل المثال، فما زال من المعتاد أن يعيش الآباء المسنون مع أولادهم، وفضلاً عن ذلك، ففي كثير من الحالات يقدم الأبناء، الذين يعيشون منفصلين عن آبائهم كبار السن، مساعدات مالية لهم، وهذا الإحساس بالتضامن يوجد كذلك بين الذين تربطهم صلة الدم كالإخوة، والأخوات الذين يبدون استعداداً لمساعدة بعضهم البعض في مناسبات الطوارىء، مما يسهم في الاستقرار لحياة الأسرة وأفرادها إلى حد كبير، ولتشجيع مثل هذا التضامن، وضعت الحكومة مزايا ضريبية لأولئك الذين يساعدون ذويهم المتقدمين في السِّن، كما أنها تنفِّذ مشروعات لبناء مساكن عامة مصممة خصيصاً لسكن الآباء والأبناء معاً».

لقد دخلت البوذية اليابان وكذلك الكنفوشية، وترك كل منهما بعض المؤثرات، إلا أن الشخصية الوطنية اليابانية تتأصل فيها الشنتوية في مختلف ميادين الحياة. وبكلمة، فإن حضارة اليابان هي وليدة الشنتوية، وما ترسخه من مبادىء أساسها الاجتماعي ـ السياسي تقديس الأباطرة وتقديس الأسلاف.

المصادر والمراجع

أ ـ الكتب العربية:

١ ـ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ـ بيروت، دار صادر، ط٥، سنة ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٢ ـ ابن حزم الأندلسي: **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ـ وضع حواشيه: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م.

٣ ـ ابن خلكان: **وفيات الأعيان** ـ تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، سنة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٤ ـ ابن النديم، محمد بن إسحاق: **الفهرست** ـ تحقيق: د. ناهد عباس عثمان، قطر، دار قطري بن الفجاءة، ط١، سنة ١٩٨٥م.

٥ ـ **إنجيل بوذا** ـ ترجمة: عيسى سابا، بيروت، مكتبة صادر، سنة ١٩٥٣ م.

٦ ـ إيديميتسو، سازو: **كن يابانياً أصيلاً** ـ لا بلد نشر، ط١، سنة ١٩٧٣ م.

٧ ـ بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** ـ ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفاري مكاوي، الكويت، عالم المعرفة، العدد ١٧٣، أيار/ مايو ١٩٩٣ م.

٨ ـ **بروتوكولات حكماء صهيون** ـ ترجمة وتقديم: د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٩ ـ البلاذري، أبو الحسن: **فتوح البلدان** ـ راجعه وعلق عليه: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
١٠ ـ بندلي، كوستي، وآخرون: **مدخل إلى العقيدة المسيحية** ـ بيروت، منشورات النور، ط٤، سنة ١٩٨٨ م.
١١ ـ البيروني، أبو الريحان: **الفلسفة الهندية** ـ راجعه وقدم له: د. عبد الحليم محمود، وعثمان عبد المنعم يوسف، صيدا (لبنان)، المكتبة العصرية، بدون تاريخ.
١٢ ـ **التوراة: تاريخها وغاياتها** ـ ترجمة وتعليق: سهيل ديب، بيروت، دار النفائس، ط٤، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
١٣ ـ توكاريف، سيرغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم** ـ ترجمة: د. أحمد فاضل، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، ط١، سنة ١٩٩٨ م.
١٤ ـ توينبي، أرنولد: **تاريخ البشرية** ـ تعريب: د. نقولا زيادة، بيروت، الدار الأهلية، سنة ١٩٨٥ م.
١٥ ـ حبيب، د. رفيق: **المسيحية والحرب؛ قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي** ـ القاهرة، يافا للدراسات، ط١، سنة ١٩٩١ م.
١٦ ـ الحسن، د. يوسف: **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني** ـ بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، سنة ١٩٩٠ م.

١٧ ـ الحسني، السيد عبد الرزاق: **الصابئون في ماضيهم وحاضرهم** ـ صيدا (لبنان) مطبعة العرفان، سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م.

١٨ ـ حلاق، د. حسّان: **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية** ـ بيروت، منشورات جامعة بيروت العربية، سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

١٩ ـ حميد، فوزي محمد: **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة** ـ ليبيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، سنة ١٩٩١ م.

٢٠ ـ خان، ظفرالإسلام: **التلمود: تاريخه وتعاليمه** ـ بيروت، دار النفائس، ط٤، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٢١ ـ ديب، سهيل: **التوراة بين الوثنية والتوحيد** ـ بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٢٢ ـ الدمشقي، القديس يوحنا: **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذوكسي** ـ عربه: أدريانوس شكور، بيروت، المكتبة البوليسية، ط٢، سنة ١٩٩١ م.

٢٣ ـ ديورانت، وِل: **قصة الحضارة** ـ ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين، بيروت، دار الجيل، سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٢٤ ـ رايشاور، أدوين: **اليابانيون** ـ ترجمة: ليلى الجبالي، مراجعة: شوقي جلال، الكويت، عالم المعرفة، الرقم ١٣٦، نيسان/ أبريل ١٩٨٩ م.

٢٥ ـ رحمات بن داتو بحر الدين، د. حاج أورانج كاي: **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام** ـ ترجمة وتعليق: د. رؤوف

شلبي، الدوحة (قطر)، دار الثقافة، بدون تاريخ.

٢٦ ـ الزحيلي، د. محمد: **وظيفة الدين في الحياة** ـ ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طبعة خاصة، سنة ١٩٩١ م.

٢٧ ـ السماك، محمد: **الأصولية الإنجيلية** ـ مالطا، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، سنة ١٩٩١ م.

٢٨ ـ سوسة، د. أحمد: **العرب واليهود في التاريخ** ـ دمشق، العربي للاعلان والنشر، ط٧، بدون تاريخ.

٢٩ ـ شبانة، عبد الفتاح محمد: **اليابان: العادات والتقاليد وإدمان التفوق** ـ القاهرة، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٦ م.

٣٠ ـ شحاته سعفان، د. حسن: **كونفوشيوس** ـ القاهرة، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.

٣١ ـ شريف، د. حسين: **التحدي الياباني في التسعينات** ـ القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، سنة ١٩٩٣ م.

٣٢ ـ الشريف، ريجينا: **الصهيونية غير اليهودية** ـ ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، الكويت، عالم المعرفة، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥ م.

٣٣ ـ شلبي، د. أحمد: **أديان الهند الكبرى** ـ القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، سنة ١٩٨٦ م.

٣٤ ـ شلبي، د. عبد الرؤوف: **الأديان القديمة في الشرق** ـ القاهرة، دار الشروق، ط٢، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٣٥ ـ شنودة، زكي: **المجتمع اليهودي** ـ القاهرة، مكتبة خانجي، بدون تاريخ.

٣٦ ـ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، تحقيق:

محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

٣٧ ـ صعب، د. أديب: **الأديان الحية: نشوؤها وتطورها** ـ بيروت، دار النهار، سنة ١٩٩٣ م.

٣٨ ـ ظاظا، د. حسن: **الفكر الديني الإسرائيلي** ـ القاهرة، جامعة الدول العربية، سنة ١٩٧١ م.

٣٩ ـ عبود، القس بولس: **اليهود في التاريخ إلى عهد السيد المسيح** ـ يافا (فلسطين المحتلة)، سنة ١٩٢٠ م.

٤٠ ـ فريدمان، بنيامين: **يهود اليوم ليسوا يهوداً** ـ إعداد: زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٤١ ـ القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن** ـ بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٤٢ ـ القطان، منّاع خليل: **الحاجة إلى الرسل** ـ جِدَّة، الدار السعودية، ط١، سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٤٣ ـ كيستلر، آرثر: **القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم** ـ ترجمة: أحمد نجيب هاشم، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٩١ م.

٤٤ ـ كولر، جون: **الفكر الشرقي القديم** ـ ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، عالم المعرفة، تموز/ يوليو ١٩٩٥ م.

٤٥ ـ لوريمر، جون: **تاريخ الكنيسة** (٣ أجزاء) ـ القاهرة، دار الثقافة، سنة ١٩٨٢ م.

٤٦ ـ الليدي دراوور: **الصابئة المندائيون، الكتاب الأول** ـ ترجمة:

نعيم بدوي وغضبان روحي، بغداد، مكتبة الأندلس، سنة ١٩٦٩ م.

٤٧ ـ ليڤي: **كنوز التلمود** ـ تقديم: محمد خليفة التونسي، القاهرة، دار التراث، ط٢، سنة ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

٤٨ ـ المسعودي: **مروج الذهب** ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط٥، سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م.

٤٩ ـ **المجمع الفاتيكاني الثاني** ـ أشرف على الترجمة: الأب حنا الفاخوري، بيروت، المكتبة البوليسية، ط١، سنة ١٩٩٢ م.

٥٠ ـ المسيري، د. عبد الوهاب: **الأيديولوجية الصهيونية** ـ القسم الأول، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٢ م.

٥١ ـ **المسيحية والإسلام: مرايا متقابلة** ـ مجموعة من المؤلفين، لبنان، جامعة البلمند، مركز الدراسات المسيحية ـ الإسلامية، سنة ١٩٩٧ م.

٥٢ ـ **المسيحية في عقائدها** ـ نقله من الألمانية: المطران كيرلس سليم بسترس، بيروت، المكتبة البوليسية، ط١، سنة ١٩٩٨ م.

٥٣ ـ **مَنُّوسمرتي، أو شرح مَنَو** ـ عربه وشرحه وعلق عليه: د. إحسان حقي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٥٤ ـ وير، تيموثي: **الكنيسة الأرثوذكسية**، بيروت، منشورات النور، سنة ١٩٨٢ م.

ب ـ الكتب الفرنسية:

٥٥ ـ Clarke, Peter B. et autres auteurs: **Le grand livre des religions du monde** - Paris. Éditions Solar, l'année 1995.

٥٦ ـ Délahourte, Michel: **les Sikhs** - Paris, Éditions Breplos, l'année 1988.

٥٧ ـ **les entretiens de Confucius** - Traduit par Pierre Reykmans, préface d'Etiemble, Paris, Éditions de Gallimard, l'année 1987.

٥٨ ـ Malherbe. Michel: **les religions de l'humanité** - TomeI, Paris, l'année 1993.

جـ ـ الموسوعات:

٥٩ ـ **دائرة المعارف الكتابية** ـ القاهرة، دار الثقافة، ط١، سنة ١٩٩٠ م.

٦٠ ـ **قاموس الكتاب المقدس** ـ حرره: د. بطرس عبد الملك وآخرون، القاهرة، دار الثقافة، ط٩، سنة ١٩٩٤ م.

٦١ ـ **لسان العرب** ـ ابن منظور.

٦٢ ـ **مجموعة الشرع الكنسي** ـ جمع وترتيب: الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب، بيروت، منشورات النور، سنة ١٩٨٥ م.

٦٣ ـ **معجم اللاهوت الكتابي** ـ بيروت، دار المشرق، ط٢، سنة ١٩٨٦ م.

٦٤ ـ **مفردات غريب القرآن** ـ الراغب الأصفهاني.

٦٥ ـ **موسوعة الأديان الميسرة** ـ بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م.

٦٦ ـ **الموسوعة العربية العالمية** ـ الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط٢، سنة ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م.

٦٧ ـ **الموسوعة الفلسطينية** ـ دمشق، ط١، سنة ١٩٨٤ م.

٦٨ ـ **الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني** ـ الدراسات الخاصة، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٠ م.

٦٩ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة** ـ الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، سنة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.

٧٠ ـ Lénoir, Frédéric, et Masquelier, Ysé, **Encyclopédie des religions**, Éditions Bayard, l'année 1997.

٧١ ـ **The New Encyclopoedia Britannica**, 15 éditions.

الفهـرس

صدر عن دار النفائس للمؤلف

- من قاموس الأديان ٣/١
- صراع الأمم بين العولمة والديمقراطية
- المال والإعلام في الفكر اليهودي والممارسة الصهيونية
- التطرف والمتطرفون
- المشروع الصهيوني الجديد
- الماسونية نشأتها وأهدافها
- شهود يهوه - نشأتهم وأفكارهم
- البهائية والقاديانية
- التصوف منشؤه ومصطلحاته
- الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة
- مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا
- الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما
- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد
- العدل فريضة اسلامية
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين
- الإسلام بين المذاهب والأديان
- المرأة في التاريخ والشريعة
- سر تطور الأمم



